وزارة التعليمة العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف – المسيلة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم الفلسفة

الرقم التسلسلي: ...../2024

رقم التسجيل (1): .....

الأخلاق عند فوكو

Ethics according to Foucault

مذكرة تخرج مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر في

شعبة: الفلسفة — تخصص: فلسفة عامة

إعداد الطالبة: — إشراف الدكتور:

–فرج الله خولة — بوراس يوسف

السنة الجامعية: 2024/2023

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾

سورة البقرة الآية: 32

شكر وعرفان

الحمد لله حتى يبلغ الحمد منتهاه أن وفقني وأنعم عليّ بفضله وجوده وكرمه لإنهاء هذا العمل.

وفي هذا المقام لا يسعني إلا أن أتقدم بالشكر الخالص إلى الاستاذ المشرف الدكتور يوسف بوراس.

الذي أشرف على عملي هذا وسهل لي طريق إنجازه حيث كان سندا لي ولم يبخل عليّ بنصائحه القيمة حيث وجهني منهجيا ومعرفيا، وكان دائم الحرص على تخريج هذا العمل في أبهى حلّة.

إهـداء

إلى والدي الكريمين.

إلى إخوتي وأخواتي الأعزاء.

إلى جميع الأساتذة.

إلى جميع الأصدقاء.

مقدمة

مقدمة

إن كل مقاربة لدراسة المعرفة والأخلاق عند فوكو تبدو متميزة،ذلك أن الأخلاق في فلسفة موت الانسان تقتضي سؤالا مغايرا وأفقا مختلفا عما تواطأ عليه العقل الفلسفي منذ سقراط أي ذلك العقل الذي يتجه إلى البحث في طبيعة المعايير الضابطاة للسلوك البشري تنظيرا وتأسيسا،ومن المؤكد أن الأخلاق باعتبار الرؤية المعهودة هي مجموعة من الأوامر والنواهي وكذا منظومة من القيم التي توجه سلوك الأفراد إلى ما ينبغي أن يكون عليه هذا السلوك.

غير أن فوكو يتجه اتجاها آخر أي دراسة هذا السلوك في حد ذاته قبل أن تضاف إليه مجموعة القواعد والأوامر والنواهي،جاعلا من الأخلاق سلوكات وتصرفات يومية للأفراد ولهذا وبحسن فوكو فإن الفكر الحديث عاجز كل العجز على اقتراح معرفة أو أخلاق معينة،وهذا في ظل عصر الحداثة وما بعد الحداثة كذلك الذي يبشر بفناء كل الأخلاق وانهيار كل القيم والمعارف أمام سيادة اللامعيارية والعدمية،حيث انقضاء المعاني والمرجعيات الثابتة وكذا موت المعنى وبروز الفردية،إذ حل التشريع الفردي محل القيم ومحل مختلف المرجعيات.

لقد كانت لميشال فوكو رؤية مميزة من خلال دعوته الصريحة للعودة إلى الأخلاق اليونانية والرومانية عبر مختلف مراحلها،فبينما نجد اهتماما بالغا من قبل الدارس الفلسفي للمنهج الفوكوي في بناء المعرفة من تحليل للأركيولوجيا والجينيالوجيا،تغيب المسألة الأخلاقية باعتبارها أحد المسائل التي تناولها فوكو في تاريخ الجنسانية من هنا كان لابد من تحليل العلاقة بين المنهج الفوكوي والأخلاق خاصة أن وعي القطيعة والنهاية ولعبة البنية وجدلية السلطة والمعرفة تأسس لتنظير آخر للسؤال الفلسفي في الأخلاق،من هنا فإن أول سؤال يتعلق بالفكر هو العلاقة التي يمكن أن تكون بين فلسفة وعي العدم والأخلاق؟إن هذا السؤال هو أول سؤال يخالج الفكر عند قراءة كتاب "الكلمات والأشياء"لمشال فوكو.

إن الجدل الكبير الذي أحدثه الفيلسوف ميشال فوكو في الساحة الفكرية والفلسفية المعاصرة كان سببا لاختيارنا لهذا الموضوع الموسوم بـ: "**المعرفة والأخلاق عند ميشال فوكو**" وقد جاء

اختيارنا لهذا الموضوع نتاجا لعدة أسباب حفزتنا على ولوج موضوع كهكذا موضوع، ومن بين هذه الأسباب، التعرف على خبايا وأسس المشروع الفكوي الذي تشكل حوله دراسات عديدة شكلت جدلا كبيرا حول هذا المشروع لهذا إن الفضول البحثي الفلسفي المليء بالدهشة وحب الاطلاع هو الذي دفعنا إلى ولوج هذا المشروع الفكري الفلسفي. إضافة إلى هذه الأسباب التي دفعتنا إلى ولوج هذا الموضوع هناك دوافع ذاتية تكمن في حب الاطلاع على المشروع الفوكوي ومعرفة أسسه، وكذلك أسباب موضوعية تتعلق بما نعانيه اليوم في واقعنا الفكري من ركود وجمود وقلة للنظريات التي تحقق الازدهار الفكري وتحقق الوعي الفكري وحتى وإن حضرت هي، تغيب وسائل نشرها، وعليه نقول أن الموضوع يحمل أهمية كبيرة وإلا ما برزت دراسات عديدة له وهذا ما يحيلنا إلى الدراسات السابقة.

وانطلاقا من هذا كانت إشكالية البحث تتمحور حول المعرفة والأخلاق عند ميشال فوكو عامة،وبالتحديد حول طبيعة وماهية هذه الأخلاق،وكذا علاقتها بالذات التي تشكلها واعتبارا لهذه الإشكالية المركزية تنطلق أسئلة أخرى محيرة :

*أين يكمن الجانب المعرفي في فلسفة ميشال فوكو؟

*كيف كان تصور فوكو للأخلاق في إطار مشروع فلسفة موت الإنسان أو هذه الأسطورة الفلسفية كما تسمى؟

*كيف كان السلوك الجنسي محل تقدير واهتمام أخلاقي في نظر فوكو؟

*كيف أعاد فوكو طرح المسائل الأخلاقية اليونانية في إطار مبدأ الاهتمام بالذات؟

وفي إطار بحث ودراسة هذه الإشكالية وما ترتب عنها من تساؤلات فإننا سوف نعالجها وفق المنهج التحليلي الذي نتوخى من خلاله الاقتراب كثيرا من فلسفة وفكر ميشال فوكو وتتبع أصوله ومنابع أفكاره وشرح معالم وأسس مشروعه، وتحليل كل المفاهيم التي يرافع من أجلها ميشال فوكو في مشروعه، كذا والبلوغ وفقا لمنهج التحليل لأدق القضايا والأحكام التي قدمها فوكو حول موضوعنا هذا.

وللإجابة على إشكاليتنا وتحليلها وكشف كل القضايا التي تحويها،ولتقديم إجابات مقنعة حول ما أخرجته الإشكالية من تساؤلات فرعية اتبعنا الخطة التالية،والتي تكونت من مقدمة،و ثلاث فصول،وخاتمة وجاءت كالتالي:

مقدمة: كانت بمثابة التعريف بالموضوع،وحملت معها الإشكالية التي يعالجها هذا البحث.

الفصل الاول: والذي جاء تحت عنوان "الأركيولوجيا وفلسفة موت الانسان" حيث عالجنا فيه مفهوم المنهج الأركيولوجي.

الفصل الثاني: و جاء تحت عنوان:"خطاب المعرفة والسلطة والجنس" و الذي تناولنا فيه مسألة مهمة في فلسفة فوكو وهي مسألة الخطاب على مختلف مستوياته حيث عالجنا موضوع خطاب المعرفة وهو الأهم ثم يأتي فيما بعد خطاب السلطة وخطاب الجنس.

وفي الفصل الثالث والأخير الذي كان عنوانه "الإتيكا فن للوجود" تطرقنا فيه إلى مفهوم الأخلاق من وجهه نظر ميشال فوكو وكذا تصوره لأخلاق الفكر الحديث في اطار عصر الحداثة وفكرة اختفاء الانسان ثم محاوله ابراز بنيه المواضيع الأخلاقية وإعادة تمثل هذه المواضيع ضمن إطار الإهتمام بالذات.

ثم الخاتمه التي تمحورت حول أهم النتائج التي توصل إليها تحليلنا للإشكالية البحث وعلاقة الأخلاق بالمعرفة.

إنه لا يمكننا الحديث عن أي مشروع ولا ولوجه إلا من خلال ما خلفه صاحبه من مصادر حملت في طياتها فحوى هذا المشروع من خلال الكتابة التي تعد قيد المعلومة، كما أنه لا يمكن فهم المشروع بسهولة إلا من خلال الدراسات والمراجع التي تحيط وتشرح هذا المشروع لذا سوف نعتمد عل مجموعة من المصادر والمراجع والتي من بينها: أولا المصادر: والتي كتبها ميشيل فو منها كتابه "استعمال اللذات والانهمام بالذات" وكذلك كتابه "إرادة المعرفة" ولتبسيط وشرح افكار فوكو في هذه المسأله استعنا ببعض المراجع نذكر منها مفهوم الخطاب

وفلسفه مشال فوكو للزاوي باغورة ، وكتاب ميشال فوكو مسيرة فلسفية إلى غير ذلك من المراجع.

وكون أن أي بحث علمي لا يخلو من الصعبات فقد واجهتنا بعض الصعبات وهي صعوبة الوصول لمصادر ميشال فوكو بلغات أخرى،وكذا كثرت المراجع التي تتحدث عن ميشال فوكو ومشروعه مما يحول بين دراسة كل الدراسات السابقة.

الفصل الأول الأركيولوجيا وفلسفة موت الإنسان

المبحث الاول :مفهوم المنهج الأركيولوجي

عاده تنسب فلسفه ميشال فوكو الى البنيوية ذلك ان طبيعة ارائه حول اللغة ونهاية الذات والوعي والقطيعة التاريخية تجمعه في مذهب واحد مع الفلاسفة البنيويين غير ان فوكو رفض مثل هذا الانتماء وأعلن صراحة انه لم يستخدم الاسلوب البنيوي انما اعتمد منهجا اخر.

لقد اصطنع فوكو منهجا حدد مضمونه من خلال معنى خاص به اضفاه على مصطلح أركيولوجيا ورسم لذلك المنهج مهمة هي البحث عن انماط النظام والتنظيم في المستويات العميقة للمعرفة والثقافة وتحول لذلك النظام المفترض في فلسفته الى كينونة قائمها بذاتها مفصولة عن فعاليات وممارسات البشر 1.

وعلى الرغم من وجود عناصر تقارب وتشابه كثيرة بين فكر فوكو في الستينيات وبين البنيوية على مستوى المنهج او على مستوى الاطروحات المناهضه للنزعة الإنسانية فإن فوكو لم يدع فرصة تمر دون أن ينفي أو يجدد نفيه لفكرة انتسابه الى البنيوية،ويؤكد اختلافاته الجذريه معها حيث يقول:"...أنه لم يستعمل أي منهج من المناهج أي مفهوم من المفاهيم أو المصطلحات الرئيسيه التي يتميز بها التحليل البنيوي"2،ومن هنا يبدو ان فوكو قدم دليلا قاطع على عدم انتسابه إلى البنيوية وحتى أن "عمر مهيبل" في كتابه "البنيوية في الفكر الفلسفي المعاصر" في حديثه عن أبرز البنيويين لم يذكر فيه ميشال فوكو كفيلسوف ينتمي الى هذا التيار البنيوي.

إن فوكو بشكل خاص هو الذي خرج من تحت وطأة المعاناة شبه الشعرية التراجيدية عن نيتشه والفلسفة الكينونية عند هيدغر إلى مرحلة انشاء المنهج القادر على ابراز التمفصلات الخطابيه وتعدديات أشكالها وآليتها في المستويات التاريخيه والأنثروبولوجية والإبستيمولوجية،إنه منهج الأركيولوجيا الجينيالوجيا أو الجينيالوجيا الأركيولوجيا وهو المنهج الذي لا يكتفي

1عبد الرزاق الداوي:فلسفة موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر،هيدغر،ليفي ستروس،ميشال فوكو،دار الطليعة للطباعة والنشر،بيروت،1992،ص173.

2نقلا عن: عبد الرزاق الداوي:فلسفة موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر،ص155-156.

بالوصف أو التحليل لكن مهمته هي أن يكشف التمفصلات الخطابيه لا أن يحكم ولا أن يؤول ،وهو منهج يرفض صفة العلم أو العلمية لأنه يترك ذاته حرا لتأتي ممارسته حرة كذلك1.

يقول فوكو:"إن وصف الخطاب يتعارض ومنهجيه تاريخ الفكر(...) فتحليل الفكر هو دوما وباستمرار تحليل يسعى إلى البحث عن معنى الحقيقي وراء المعنى المجازي(...) أما تحليل الخطاب فيتجه وجهه اخرى مغايرة همه الأساسي هو التعامل مع المنطوق كشيء قائما بذاته،لا يحيل الى مستوى آخر(...) وتميزه كحدث لا أصول له،وتحديد شروط وجوده"2 .

وقد سمح المنهج الأركيولوجي بالكشف على الأساس الذي ترتكز إليه المنطوقات وعن علاقاتها المتداخلة،كما سمح بتكوين تصور أشمل وأكثر تركيزا عن الانقطاعات المعرفيه في فترات تاريخية مختلفة،وفي تحليله تعمد فوكو اغفال مقولات هامة كانت ذات دور متميز في اطار فلسفه التاريخ كالمعقولية والصيرورة واستبدل بها مفاهيم اخرى مثل المقال المنطوق والأرشيف3.

ولكي يضمن لمنهجه أكبر قدر ممكن من النجاح فقد استعان ببعض أو بعده مفاهيم مثل التكوينات المقالية والوضعية والأرشيف وقام بتحديد مجال المنطقات والممارسات المقالية وحاولت التوصل الى منهج لا يكون صوريا ولا تأويليا وباختصار فقد استعان بجهاز كامل من المفاهيم لتحقيق مأربه هذا4،هذا المنهج الذي يسعى إلى سبر أعماق المعرفه عبر تاريخ الفكر، للكشف عن تلك الثوابت غير المنظورة التي سيعزو اليها سلطه التحكم في انتاج وتنظيم المعارف المختلفة في كل فتره تاريخية5.

1ميشال فكوكو :الكلمات والاشياء،ترجمة مطاع صفدي وآخرون،مركز الإنماء القومي،الجزائر ،ط2،1993،ص8-9.

2الزاوي بغورة:مفهوم الخطاب في فلسفة ميشال فوكو ،المجلس الأعلى للثقافة،دط،2000،ص121.

3عمر مهيبل:البنيوية في الفكر الفلسفي المعاصر ،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر ،ط2،1993،ص121.

4المرجع نفسه،ص144.

5عبد الرزاق الداوي:فلسفة موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر ،ص.139

وفي هذا يقول فوكو:"...لقد استخدمت مصطلح أركيولوجيا في معنى مجازي لأدل به على شيء يكون هو الارشيف وليس اطلاقا اكتشاف بداية ما او احياء رفات الماضي الميت"1 وفي السياق نفسه نقرا هذا التعريف الذي يعطيه لكلمه أرشيف"... ما أسميه أرشيفا ليس هو مجموع النصوص التي احتفظت بها حضارة ما ولا مجموع الآثار التي يمكن إنقاذها من التلف ولكن مجموعه القواعد التي تحدد داخل ثقافة ما ظهور واختفاء الخطابات واستمرارها وتلاشيها"2 فالأركيولوجيا هي الوصف المنهجي والمنظم للخطاب باعتباره موضوعا ،إنها تسلم بأن خطاب المعرفه يمكن ان يدرس كظاهرة موضوعية ومستقلة حيث كتب في أركيولوجيا المعرفه:" لا تسعى حفريات المعرفة الى تحديد الخواطر والتمثلات والصور والأفكار المحورية والموضوعات الأساسية التي تختفي وتظهر في الخطابات بل تحدد هذه الخطابات نفسها من حيث هي ممارسات تحكمها قواعد معينه3 وهذا ما يعني بوضوح التخلي عن دراسة الخطاب كما لو كان مجموعه من العناصر الدالة،التي تحيل إلى قضايا ومضامين وتمثلات ومقاصد مصدرها الذات أو الذوات4.

لذا فإن دراسة الخطاب لا تعني دراسة التمثلات والصور والأفكار المتضمنة فيه بل تهدف أساسا إلى تحليل المقال نفسه والإنصات بما يقوله ويمارسه في آن واحد وذلك بالاستناد الى قواعد وأسس متفق عليها ،ولا أدل على ذلك من قول فوكو:" وهكذا يظهر مشروع الوصف المحض لأحداث المقال بمثابةأفق للبحث عن الوحدات المكونات وهذا الوصف يتميز بسهوله عن التحليل اللغوي وذلك أنه لايتسنى لنا إقامه نسق لغوي إلا باستخدام مجموعه من منطوقات أو منتجات من مجموع الوقائع الخطابية (...) وبالمقابل فغنى مجال الاحداث المقالية هو ذلك

6المرجع نفسة،ص139-140.

2عبد الرزاق الداوي:فلسفة موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر،ص139-140.

3ميشال فوكو:حفريات المعرفة،ترجمة سالم يافوت،المركز الثقافي العربي،لبنان،ط1987،2،ص128.

4عبد الرزاق الداوي:فلسفة موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر،ص140.

الكل المحدد ودائما والذي يقتصر الآن على المتتاليات اللسانية او اللغوية التي كانت قد كونت من قبل...1.

وعليه فموضوع الأركيولوجيا ليس اللغة وإنما الأرشيف أي الوجود المتراكم للخطابات فالأركيولوجيا كما يقول فوكو:" ليست جيولوجيا اي تحليل لطبقات الأرضية، ولا جينيالوجيا أي وصف البدايات والتواريخ وانما هي تحنن الخطاب في صيغه أرشيف فالأرشيف إذا هو موضوع الأركيولوجيا والتحليل الأركيولوجي باعتباره ممارسه خطابية لها قواعدها وشروطها ومبادئها في وصف الخطابات وتشكلها وتحولها وشروط ظهورها وتراكمها وتسلسلها وأشكال وجودها وانبثاقها أو تلاشيها وضياعها2.

من هنا إذا كانت الأركيلوجيا تحليلا للتشكيلات الخطابية والوضعيات والمعارف من حيث علاقتها بالعلوم فإنها إذن تحليل للأنظمة المعرفية أو الإبستيميات Epistème ،والإبستمية *كما يشرحها فوكو ليست تعبيراعن رؤية العالم ،كما أنها ليست شكلا من المجال التاريخي الممتد أو المصدر المشترك لكل المعارف والعلوم،ولا هي محطة من محطات تطور العقل واكتماله3. بل إنها مجموع العلاقات التي بإمكانها أن توحد في فترة معينة بين الممارسات الخطابية التي تفسح المجال أمام أشكال إبستمولوجية وعلوم ،وأحيانا منظومات مصاغة صوريا ،إنها النمط الذي يتم حسبه الإنتقال داخل كل تشكيلة خطابية ،إلى التنظير الإبستمولوجي والعلمية والصياغة الصورية ،عنها أيضا نمط توزع تلك العتبات التي يوافق بعضها البعض ،أو يضاف إليه أو يبتعد عنه زمنيا ،الروابط الجانبية التي يمكن أن تنشأ بين بعض الأشكال

1عمر مهيبل:البنيوية في الفكر الفلسفي المعاصر،ص122-123.

2الزاوي بغورة:مفهوم الخطاب في فلسفة ميشال فوكو،ص114-115.

*الإبستمي : إن فوكو يقول عن نفسه بالفعل بأنه "...أول من برهن عن وجود ترابط إبستيموجي عميق بين مختلف أنواع المعارف السائدة في فترة زمنية معطاة في عصر معين " ، وسيطلق عن إكتشافه هذا إسم إبستيمي ، حيث يعرفّها بقوله : "...مجموع العلاقات التي يمكننا الوقوف عليها فيفترة ما بين العلوم حينما نحلل مستوى إنتظاماتها الخطابية"

3- السيد ولد أباه :التاريخ والحقيقة لدى ميشال فوكو،دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت، لبنان ، ط1 ، 1994م ، ص ، ص : 117/116 .

الإبستمولوجية وبعض العلوم من حيث أن هذه وتلك تنتسبان إلى ممارسات خطابية متقاربة،لكنها متمايزة ،ليست الإبستمية صورة المعرفة أولونا من المعقولية بإختراقه لأكثر العلوم تباينا وأشدها إختلافا1.

ومن هنا فإن الباحث الأركيلوجي يدرس الملفوظات الصامتة ، مما يسمح له بتجاوز البحث الجدي عن الحقيقة والمعنى الذي يصفه :"فليست الأركيلوجيا أكثر من إعادة كتابة ولا شيئا آخر غيرها ،أي في شكر الخارجنية المصون تحويل منظما لم سبق(...) إنها الوصف المنهجي لخطاب _موضوع"،ويأخذ الباحث الأركلوجي موقفا تعامديا إزاء جميع الصيغ الخطابية وموضوعاتهاوذواتها ومفاهيمها وخياراتها الإستراتيجية ذات المعنى وإزاء جهدها لإكتشاف الحقيقة2، وكذلك فالباحث الأركيولوجي يؤكد أنه يتكلم خارج أفق المعقولية ،حيث يقول فوكو عن عمله :"لقد حاولت أن أحدد ذلك الحيز الأبيض الذي أتكلم منه، والذي يتشكل ببطئ وفي خطاب أشعر بأنه لا يزال على جانب من العرضية والتقلب " ، فإنه ليس من شأن الباحث أن يهتم بمعرفة ما إذا كان بالإمكان إضفاء الصفة على تفسيره بمقارنته بطرق أوسع3.

حيث أن الأفق التي تتجه صوبه الحفريات ليس علما ما ،أو معقولية ما ، أو عقلية ما ، أو ثقافة ما ، بل هو تداخل وضعيات تداخلا يجعل من الصعب تحديد نقط إلتقائها لأول وهلة ،فالحفريات تحليل مقارن لا يسعى إلى تقليص عدد الخطابات ورسم الوحدة التي عليها أن ترتد إليها ، بل هدفه توزيع تعددها في أشكال مختلفة ، فالمقارنة الحفرية ليس لها مرمى موحد بل مكثر ومعدد " 4 ، فالأركيولوجي من الناحية الأخلاقية " لا يهمه منظومة الأخلاق من حيث هو مؤسسة إجتماعية أو دينية أو تاريخية ، ولكنه يتوحد إلى سلوك الأفراد الفعلي اتجاه

1 – ميشال فوكو : حفريات المعرفة ، ص : 176 .

2 –أوبير دريفوس ، بول رابينوف : ميشال فوكو ،مسيرة فلسفية ، ترجمة جورج أبي صالح ، مراجعة مطاع صفدي ، مركز الإنماء القومي ، رأس بيروت , لبنان ، د ط ، د ت ،ص 97.

3أوبير ديريفوس،بوت رابيسنوف،ميشال فوكو مسيرة فلسفية،ص79.

4ميشال فوكو : حفريات المعرفة ،ص 147.

ذواتهم أولا ، وهو مايسميه فوكو بتقنيات ممارسة الذات " 1 ، لذلك فإن الباحث الآر كيو لوجي في أساسه يهدف إلى الكشف عن الأرضية التي تقوم عليها المعارف في الحقب ، أو بتعبير آخر على الإبستمية التي تحكم في حقبة زمنية معينة مجمل الخطابات المعرفية ، وذلك بدراستها تزامنيا وفي إطار علاقاتها المختلفة دون اهتمام بتحولاتها وتطوراتها أو تقدمها ، بل الوقوف على لحظات الانفصال والقطيعة2 .

لكن فوكو قد بدأ الشك يساوره ، كما بدأ يطرح تسائلات حول مستقبل إكتشافه الجديد "الأركيولوجيا "وقد كتب في هذا السياق :"... لاشيء يمكن أن يضمن بكيفية مسبقة أن ميدان الأركيولوجيا سيبقى قارا ومستقبلا " ، إنه يتنبأ هنا بأن المشاكل التي كانت تأخد إهتمامه ، والأدوات التي تناول بها تلك المشاكل ، قد تستعمل مستقبلا في ميدان آخر وبطريقة أخرى (...) وفي مستوى أعلى أو حسب مناهج مختلفة .3

ومن هنا يمكن تحديد الدواعي التي تقف وراء التعديل المنهجي بعاملين أساسيين ، عامل علمي يتعلق بجملة المشاكل العلمية التي لم تستطع الأركيولوجيا مواجهتها وخاصة مشكلة المعني ، وعامل تاريخي يتعلق بأحداث 1968 ، وما حملته من قضايا ومسائل ، خاصة قضية السلطة بجمي أشكالها والتي عجزت الأركيولوجيا عن مناقشتها ، وذلك بسبب إنغلاقها في الوصف المحض للخطابات كأحداث تاريخية ،إذ لم يكن لها هدف آخر غير هدف الوصف والتحليل بعيدا عن كل تفسير أو تأويل4 .

والعنصر الجديد هنا هو حديث فوكو ، ربما لأول مرة عن الممارسات بصفة عامة وليس فقط عن الممارسات القولية أو الخطابية ، وحتى يتسنى له الوقوف على معنى تلك الممارسات من

1ميشال فوكو :إرادة المعرفة،ترجمة جورج أبي صالح،مركز الانماء القومي،بيروت،1990،ص6.

2الزواوي بغورة:مفهوم الخطاب في فلسفة ميشال فوكو،ص171.

3عبد الرزاق الدواي : فلسفة موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر ص 158 .

4الزواوي بغورة:مفهوم الخطاب في فلسفة ميشال فوكو،ص126.

الداخل ،شرع في إستخدام منهج جديد ، أو بالأحرى جدد إستعمال منهج قديم يعود نيتشه ، وهو المنهج الجينيالوجي تتكامل مع الأركيولوجيا يظهر عند فوكو منذ نظام الخطاب ، إن كان يؤكد في هذا الكتاب أن الجينيالوجيا تتكامل مع الأركيولوجيا وتتم عملها (...) حيث قام فوكوبقلب نظام الأولوية لصالح الجينيالوجيا ، التي أصبحت الآن تحتل المرتبة الأولى في سلم إهتماماته 1.

حيث نجد في الخطاب الافتتاحي الذي ألقاه في المعهد الفرنسي سنة 1970 م بعنوان نظام الخطاب ، عرض بسرعة لمسألة العلاقات بين الأركيولوجيا مع إكمالها بالنسابية2 وهكذا يدشن فوكو مستوى جديدا من الوضوح ـ مستوى لايمكن للنظرية أن تحلله ، وفي الوقت نفسه يعتمد طريقة جديدة من أجل فك رموز معنى هذه الممارسات ، ليس فقط أن هذه الطريقة الجديدة تتيح له أن يخضع النظرية للتطبيق إنما أيضا يثبت أن النظرية هي أحد العناصر الأساسية التي من خلالها تعمل اممارسات المركبة3.

وعن منهجه الجديد هذا يقول فوكو : بأن النسابية تتعارض مع الطريقة التقليدية التاريخية ، إنها تسعى إلى كشف تمييز الأحداث ، بعيدا عن كل غاية رتيبة "4ومن هنا إذا كان المعنى المثبت للجنيالوجيا Généalogie هودراسة مراحل النشوء والتكون لغاية إثبات الأنساب والأصول ، وفي ميدان تاريخ الفكر البحث عن الأصل الذي صدرت منه فكرة ما ، فإن فوكو يأخذ هذا المصطلح في دلالته القصوى ويجعله يعني أولا وأخيرا الإقتلاع من الجذور أكثر مما يعني البحث عن حقيقة أولى أو عن هوية مفقودة وعليه فغاية فغاية الجنيالوجيا هي بالأحرى هدم وتقويض فكرة الأصل والمركز والحقيقة ، فليست هناك ما هية الأشياء

1عبد الرزاق الداوي:فلسفة موت الانسان في الخطاب الفلسفي المعاصر،ص158.

2أوبير دريفوس ، بول رابينوف : ميشال فوكو ،مسيرة فلسفية ،ص97.

3المرجع نفسه،ص96.

4المرجع نفسه،ص99.

(...)الماهية كلها مصطنعة ومحبوكة قطعة (...) والعالم ليس لعبة تخفي ورائها واقعا آخر أكثر عمقا وحقيقة ، إن ما نراه ، ولا شيءخفي وعميق يكمن وراء الظواهر 1.

فأهمية التاريخ لدى فوكو ليس بلورة مجموعة من الثوابت الفلسفية أو العلمية ، بل إستخدام هذه الثوابت ، مهما كانت طبيعتها لتقويض العقلانيات التي لا تفتأ تنشأ وتتشكل ، إن التاريخ هنا هو جينيالوجية نيتشوية وشكل من أشكال الفلسفة في إنفصال كامل عن الإنفصال التجريبي الذي ينظر إلى التاريخ عادة من خلاله2.

لذا فإن الدرس الأساسي الذي استخلصه فوكو من جينيالوجيا نيتشه هو الربط بين تاريخية المفاهيم وتاريخية العقل وتاريخ العقل بتاريخ الجسد ، أي الكشف عن الجذور المعيارية للمقولات العقلية ، والدوافع النفعية والحيوية للمنظمات العقلية حتى أكثرها إغفالا في الصورية والتجريد3.

فالنسبة إلى الباحث النيسابي لاتوجد لا جواهر ثابتة ولا قوانين أساسية ولا غائيات ما ورائية ، وتسعى النسابية إلى توضيح الإنقطاعات حيثما يكون قد رأو التقدم والجسد ، إنها تصف ماضي الإنسانية لكي تفضح أناشيد التقدم الرسمية ، إنها لا تهتم بالبحث عن العمق وتحاول بالأحرى أن تظهر الأحداث السطحية والتفاصيل الصغيرة والإنتقالات العدمية الشأن والحدود الدقيقة4.

1عبدالرزاق الدواي : فلسفة موت الإنسان في الفلسفي المعاصر ، ص 159.

2السيد ولد أباه:التاريخ والحقيقة لدى ميشال فوكو،ص80.

3المرجع نفسه،ص71.

4أوبير دريفوس ، بول رابينوف : ميشال فوكو ،مسيرة فلسفية ،ص99.

وفي إعلانه بأن الجنيالوجيا هي المنهج الجديد الذي يعتمد عليه ،يتبنى لنا بأن فوكو حدد بعض الوظائف أو المهام التي تخص الباحث النيسابي أو الجنيالوجي في مختلف الميادين المعرفية ، ولهذا سنتناول هذه الوظائف ،ولو على سبيل الحصر ، مما يمكّننا من فهم الموضوع أكثر . ففي المراقبة والمعاقبة ، وفي الجزء الأول من تاريخ الجنسانية يقلب فوكو الأولويات ، إذ صارت النسابية متقدمة على الأركيولوجيا ،فالباحث النسابي هو مشخص يتفحص العلاقات بين السلطة والمعرفة في المجتمع الحديث[1].

[1]المرجع نفسه،98.

فالحقيقة العميقة التي من شأن الباحث النيسابي أن يكتشفها هي "سر كون الأشياء وبلا جوهر أو كون جوهرها قد تكون تدريجيا إنطلاقا من أشكار كانت غريبة عنها إذا،إن دور الباحث النسابي برأي فوكو ،هو تقويض أولوية الأصول والحقائق الثابتة ، إنه يسعى للقضاء على مذاهب التقدم والتطور ، وحالما يلغي المعاني المثالية والحقائق الولية ، يلاحظ لعبة الإرادات ،ففي كل مكان ينظر إليه ، لايرى سوى خضوع وهيمنة وصراعات ، ما أن يسمح كلاما عن المعنى والقيمة والفضيلة والطيبة حتى يأخذ في البحث عن إستراتيجيات الهيمنة 1، وفي سياق هذا المعنى نجد أن فوكو ينكر وجود الحقائق المطلقة والثابتة ، وكذلك مختلف الأوهام التي تجعلنا نؤمن بالهوية والثبات والرسوخ ، ويقول في هذا المعنى فوكو : ... لاشيء في الإنسان ـ ولا حتى في جسده ـ ثابت بما يكفي لفهم بقية الناس ولمعرفة أنفسنا فيهم 2" ، فعلى الجينيالوجي إذن أن ينسف أفكار الذات والحقيقة والمعنى والأصل والتطور والتقدم ... إلى آخر القائمة ، ويعلن الغياب الدائم للأساس والحقيقة3.

هكذا أصبح فوكو يؤكد على لسان نيتشه ، بأن لاشيء عميقا وخفيا يكمن خلف المظاهر والظواهر ، ولا وجود لمعني أول لحقيقة أولى يمكن الوصول إليها من خلال التأويل ، فالتأويل لا يصل أبدا إلى نص أول وإنما ينتهي دائما عند تأويلات أخرى لا علاقة لها بالواقع أو بالأشياء فرضت ووضعت من قبل أناس آخرين 4 ، يتضح من هنا أن فوكو بمنهجه الأركيولوجي ليس بنيويا كما اتهمه البعض ، وإن كان كذلك فإنه منذ الإعلان عن منهجه الجديد الجينيالوجي تأكد أيضا بأن منهجه بعيد عن البينونة ، وهو منهج البحث عن الأصل والحقيقة في مجالات عدة منها الأخلاق ، الجنس ، السلطة ... وهذا على المستوى المنهجي ،

1 أوبير دريفوس ، بول رابينوف : ميشال فوكو ،مسيرة فلسفية،ص 101.

2 المرجع نفسه ، ص 102.

3 عبدالرزاق الدواي : فلسفة موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر ، ص 159.

4 المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

أما على المستوى أو من الناحية الفلسفية فهو حليف البنيوية التي تقوم مناهضة للترعة الإنسانية وحتى التاريخ.

المبحث الثاني: فلسفة موت الإنسان:

فيما سبق تم ذكر أن فوكو من الناحية الفلسفية تسري عليه خواص الفلسفة البنيوية ، فهناك البعض من وصف نظريته بأنها لا بنيوية أو بنية بلا بنيات ، فإذا كانت البنيوية تسعى دائما إلى إقصاء الذات الإنسانية، فهل كان فوكو بمنهجه الأركيولوجي والجينيالوجي يهدف إلى ما تهدف إليه البنيوية؟ أو أنه يتجه اتجاه مغاير لما توصلت إليه البنيوية، أو بعبارة أخرى هل فوكو بترعته النقدية وباعتباره كفيلسوف ينتمي إلى تيار أو مشروع فلسفة موت الإنسان مناهضا للنزعة الإنسانية وللعلوم الإنسانية عامة؟

هذا التساؤل هو ما سنحاول في هذا العنصر أن نبينه من خلال أفكار فوكو في هذا المجال . إن كلمة الإنسية والمذهب الإنساني والترعة الإنسانية، هذه الأخيرة لم تظهر في الثقافة الغربية للمرة الأولى حسب ما تذكره الموسوعات والقواميس المختصة إلا في أوائل القرن التاسع عشر، وبالتحديد سنة 1808 (...) ، وكان يقصد من خلالها في البداية الدلالة على نظام تعليمي وتربوي جديد يقترحه ويهدف منه إلى تكوين الناشئة عن طريق الثقافة والآداب القديمة[1].

وفضلا عن هذا ، فإن كلمة الترعة الإنسانية اكتسبت في أواخر القرن التاسع عشر ، وبالضبط إبتداءا من سنة 1877 ، معنى تاريخيا أكثر تحديدا ، بحيث صارت تدل على ذلك التيار الفكري والثقافي العام والشامل ، الذي شمل ميادين الفنون والآداب والفلسفة والذي انطلق في البداية من إيطاليا في عصر النهضة ، ليعم بعد ذلك كثيرا من البلدان الأوربية[2].

[1] عبدالرزاق الدواي : فلسفة موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر ، ص 189.
[2] المرجع نفسه.

لا شك أن هناك بعض المصادر التي ساهمت في بلورة وظهور هذا المعنى الحديث للترعة الإنسانية ، والذي نكاد نجده في جميع القواميس والموسوعات : " إن الترعة الإنسانية هي كل نظرية أو فلسفة تتخذ من الإنسان محورا لتفكيرها وغايتها وقيمتها العليا"[1].

هذا بصفة عامة ما يخص مفهوم النزعة الإنسانية التي تتعلق أولا وأخيرا بالإنسان من حيث هو كائن عاقل يحمل معه قيمه وأفكاره الخاصة . إن الحديث عن موت الإنسان بصفة خاصة إلا في ثنايا كتاب فوكو الرئيسي الذي ظهر سنة 1966م تحت عنوان الكلمات والأشياء[2].

بيد أن إعلان موت الإنسان سواء من طرف البنيوية أو من طرف فلسفات أخرى ، لا يمكن أن يمر هكذا دون تعقيدات معرفية ومنهجية ، فموت الإنسان يعني نهاية الفلسفة ، ونهاية الفلسفة تعني الميار دعامة أساسية من دعائم المعرفة الإنسانية ، صحيح أن هناك مجالات معرفية متنوعة يمكن أن تسد جزءا من الفراغ ، لكن ما من واحدة يمكنها أن ترقى إلى مستوى التفكير الفلسفي ، أو يمكنها تمثل فعل التفلسف الذي هو من الأفعال الأولى التي لازمت ماهية الإنسان في دروبكينونته الأولى وفي عملية بحثه عن طرق وعي هذه الكينونة[3].

لكن فوكو وبالتأكيد لا يقصد إعلان نهاية الإنسان بالمعنى الحرفي للكلمة ، ولكن نهاية مفهوم معين عن الإنسان : إنسان الترعة الإنسانية وإعلان حقوق الإنسان (...) هذا الإنسان الذي أصبحت صورته مألوفة لدينا الآن ، يقول عنه فوكو أنه كان غائبا في ثقافة العصر الكلاسيكي[4]. هذا الوجه الثقافي الجديد الذي صنعته المعرفة الحديثة للإنسان ، لا يزال فتيا ، إنه اختراع حديث العهد ، والمعرفة التي يدين بها بولادته لا يتجاوز عمرها مئتي سنة ، ولأننا لا نزال تحت تأثير وفي أسر بديهية أن الإنسان كان دائما موجودا ، فإننا نتناسى وفوكو يذكرنا هنا بإلحاح بأن ما كان موجودا في الحقل المعرفي وحتى نهاية القرن الثامن عشر ، هو العالم

[1] المرجع نفسه،ص191.

[2] زكرياء إبراهيم : مشكلات فلسفية (مشكلة البنية أو أضواء على البنية) ، دار مصر للطباعة ، د ط ، دت ، ص 136.

[3] عمر مهيبل،البنيوية في الفكر الفلسفي المعاصر،ص286.

[4] عبدالرزاق الدواي : فلسفة موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر،ص160.

والكائنات البشرية والنظام ، ولكن الإنسان كان غائبا ، وما احتلال الإنسان المركز الصدارة في الحقل المعرفي الحديث سوى حدث طارئ ومؤقت داخل نسق معرفي هو ذاته مؤقت[1].

لكن فوكو يقرر أيضا أن تلك المعرفة الجديدة التي ظهرت بظهور الإنسان في القرن التاسع عشر ، إنما هي بعينها التي سوف تجهز عليه ؟ وأية ذلك أن الفرد الذي كان من قبل موزعا بين علم الفيزياء وعلم الأحياء ، لم يلبث أن يفقد ذلك القدر الضئيل من الهوية الذي بقي له بسبب توزعه بين فروع مختلفة من المعرفة[2].

بالنسبة للفكر الكلاسيكي (...) لم يكن هناك وجود للإنسان قبل نهاية القرن الثامن عشر ، ولا لزحم الحياة أو خصوبة العمل أو كثافة اللغة التاريخية ، إنه مجرد مخلوق حديث أبدعه العلم منذ أقل من مئتي سنة ، لكنه ما لبث حتى هرم بسرعة فائقة ، حتى ليتخيل المرء بسهولة أنه كان منتظرا في الظلام منذ آلاف السنين اللحظة التي يعود فيها إلى النور ، ويعترف به بعد طول انتظار[3].

فالفكرة الناظمة التي كانت توجه فوكو في كتاباته في الستينات ، هي مواصلة تقويض أسس الترعة الإنسانية الذي كانت الثقافة الجديدة قد بدأته من قبل ، أما تلك الثقافة الجديدة التي يقول عنها فوكو بأنها تحليلية وتعارض الفكر الجدلي والترعة الإنسانية ، ويبدو أنها ستحل محلهما ، فقد بدأت مع " ... نيتشه عندما أعلن بأن موت الإله لا يعني بزوغ عهد الإنسان بل أفوله[4].

من هنا إذا كان فوكو بالفعل يهدف إلى تقويض أسس هذه الترعة وبالتالي مناهضتها ، فكيف يتم ذلك وهل وصل فعلا إلى مبتغاه باعتباره منتميا لثقافة فلسفة الموت أي موت الإنسان ، ومن خلال افتتانه بهذا الفكر الجدلي من خلال تأويل فوكو، متلازمان, ولا يمكن فصل أحدهما عن الآخر ، فالفكر يستدعي الترعة الإنسانية ، لأنها فلسفة للممارسة البشرية وللتاريخ

[1] المرجع نفسه،ص160-161.

[2] زكرياء إبراهيم،مشكلات فلسفية،ص158.

[3] ميشال فوكو،الكلمات والأشياء،ص257.

[4] عبدالرزاق الدواي : فلسفة موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر،ص128.

، وللاستلاب ، والترعة الإنسانية تستدعي بدورها التاريخ ، لكنه كريما بالوعد بأن الكائن البشري سيحقق في المستقبل كلية, بكيفية أصيلة[1].

لهذا فإن نقد ميشال فوك للترعة الإنسانية في المجال المعرفي بالذات له خصوصيته ، فهو نقد قد أوصى في البداية بفعل تأثير المناخ الفكري الذي نشأ فيه بأنه يقدم باسم الدقة والصرامة العلمية ، من أجل إزاحة العراقيل ، وتعبيد الطريق أمام علوم الإنسان كي تنخرط في ميدان العلوم المضبوطة ، إنه نقد يتوجه إلى مفهوم الإنسان ذاته من اجل استئصال جذوره في الثقافة وفي المعرفة ، ومن أجل إضفاء الطابع الظرفي على حدث ظهوره ونشأته ، وللإعلان في آخر مطافه بأن ساعة اختفائه قد أزفت[2].

ومن هنا يمكن أن ندرج موقف فوكو من العلوم الإنسانية حيث يقر بأن العلوم الإنسانية ليست مجرد علوم زائفة ، بل هي ليست علوما على الإطلاق ، والسبب في ذلك أن التنظيم الذي يحدد وضعيتها ويؤصل جذورها داخل الإبستمية الحديثة من شأنه في الآن نفسه أن ينأى بها عن دائرة العلوم بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة[3]، ويقول فوكو عن هذه العلوم : " إن أول ما يجب ملاحظته هو أن العلوم الإنسانية لم ترث حقلا معينا ، مرسوم المعالم ، ومن الممكن أن يكون قد طرق في خطوطه الكبرى ، إنما بقي بورا ، يترتب عليها تطويره استنادا إلى مفاهيم علمية ومنهجيات وضعية ، فالقرن الثامن عشر لم ينقل إليها تحت اسم الإنسان أو الطبيعة الإنسانية حيزا محددا من الخارج ، لكنه بقي فارغا ، وتكون مهمتها هي الإحاطة به وتحليله[4].

فليس موضوع العلوم الإنسانية هو اللغة مع أن الإنسان وحده هو الذي ينطق بهما ، بل هو ذلك الكائن الذي من داخل اللغة التي تحيط به ، يتمثل حين ينطق معاني الكلمات والعبارات التي يتلفظ بها ، وينتهي في آخر المطاف إلى تشكيل تمثيل للغة ذاتها[5]، لذلك ، ليس من خاصية العلوم الإنسانية أن تهدف إلى مضمون معين ، ذاك الموضوع المميز الذي هو

[1] المرجع نفسه،ص129.

[2] عبدالرزاق الدواي : فلسفة موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر،ص129-130.

[3] زكرياء إبراهيم : مشكلات فلسفية (مشكلة البنية أو أضواء على البنية) ، ص ، 154

[4] ميشال فوكو الكلمات والأشياء،ص283.

[5] المصدر نفسه،ص290.

الكائن البشري ، بل دورها بالأحرى شكلي بحت ، أي مجرد كونها بالنسبة للعلوم التي تعتبر الكائن البشري موضوعا لها كليا كالاقتصاد وفقه اللغة أو جزئيا كالبيولوجيا تقف في موقع مزدوج ، وأن هذه الازدواجية في النتيجة يمكن أن تصلح بالنسبة لها[1].

من هنا يبدو وكأن فوكو قد رفض هذه العلوم رفضا مطلقا ، لكونها أي هذه العلوم قد تجاهلت بعض الجوانب من الإنسان ، وكذلك أنها علوم لا يعترف لها بالصفة العلمية . ويرى أيضا بأن العلوم الإنسانية ظهرت في إبستيمي الحداثة على إثر الطفرة الأركيولوجية نفسها التي سمحت بظهور الإنسان : " إن كون الإنسان أصبح ولأول مرة (...) موضوع لعلم فهذا الحدث لا يمكن اعتباره مجرد ظاهرة على مستوى الرأي ، بل إنه حدث في نظام المعرفة[2].

ويقر هنا فوكو بأن فكرة الإنسان قد ظهرت في مطلع القرن التاسع عشر ، فكانت بمثابة حدث تاريخي زعزع كل أركان الثقافة الغربية ، ولكن الإنسان لم يظهر باعتباره ذاتا وموضوعا لكل معرفة ممكنة[3].

كما أن فوكو لا يفكر أن هذا الحدث ألا وهو ظهور فكرة الإنسان قد ترتبت على بعض الضرورات العملية ، بما فيها الاضطرابات السياسية والتغيرات السريعة التي طرأت على ظروف العمل إلى غير ذلك من المشكلات الاجتماعية التي عملت في مطلع القرن التاسع عشر على مولد الإنسان باعتباره ذاتا تاريخية ومن ثم قيام الدراسة العلمية للظاهرة البشرية[4].

ولقد كشف هنا أركيولوجيا فوكو إذن أن الإنسان ابتكار حديث العهد ، تحقق ظهوره على إثر تحول مفاجئ حصل في الأجهزة الأساسية للمعرفة في القرن التاسع عشر ، وأنه ليس أكثر من مفهوم من المفاهيم المؤقتة ووجه ، او بالأحرى قناع ثقافي كان صالحا للاستعمال فقط ، وفي الفترة التي استدعاه فيها النسق المعرفي[5].

---

[1] المصدر نفسه.

[2] عبدالرزاق الدواي : فلسفة موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر،ص166.

[3] زكرياء إبراهيم : مشكلات فلسفية (مشكلة البنية أو أضواء على البنية) ، ص ، 153.

[4] المرجع نفسه.

[5] عبدالرزاق الدواي : فلسفة موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر،ص167.

وكذلك لم تظهر فكرة دراسة الإنسان علميا بفضل الاهتمام الأخلاقي به ، بل وعلى خلاف ذلك فإن الموضوعات الأخلاقية ذاتها ، وموضوعات الترعة الإنسانية ، هي التي ظهرت نتيجة لأن الكائن البشري أنشئ كموضوع للمعرفة[1]، وهذه النزعة التي يقول عنها فوكو : " لقد خصت النزعة الإنسانية في عصر النهضة ، والترعة العقلانية في العصر الكلاسيكي ، البشر بمكانة ممتازة في نظام العالم ، ولكنها لم تستطيعا التفكير في الإنسان " ، ويؤكد في السياق ذاته بان الإنسان كذات لم تكن له أية أهمية في إبستيمي عصر النهضة ، وكذلك في إبستيمي العصر الكلاسيكي ، لقد كانت الثقافة الغربية قبل القرن الثامن عشر مهمته ومشغولة بفكرة الإله وبالعالم وبقوانين المكان ،وبدون شك أيضا بالجسم وبالانفعالات وبالخيال[2].

هكذا إذن تبدو فكرة الإنسان لفوكو باعتبارها كانت غائبة في كل من إبستيمي عصر النهضة وكذا العصر الكلاسيكي ، حيث لم تظهر إلا حديثا.

لكن قد يتساءل المرء إذا كان موت الإنسان قد صار أمرا محققا ، فما هو ذلك الموجود الذي سيحل محله ؟ أو بعبارة أخرى ، ما عسى أن تكون تلك الإبستمية الجديدة التي ستحل محل الدراسة العلمية للإنسان ؟ وهنا يجيب فوكو نفسه حين يقول : " إن الإنسان قد أصبح الآن قاب قوسين أو ادني من الفناء بعدما أصبح وجود اللغة يستطع في آفاقنا بشكل قوي عميق الأثر[3] ، حيث أصبحت اللغة تحاصر الذات في جميع الجهات ، الذات التي احتلت ، وإلى الأمس القريب مكان الصدارة ومركز العالم ، أصبحت اللغة الآن هي التي تقول الحقيقة عنها وإن ما يلوح في أفق الإمكانيات القصوى للغة هو النهاية الوشيكة للإنسان ، هذا الإنسان الذي وبعد أن حاول كل كلام ممكن ، وبعد أن استنفذ كل إمكانية للكلام ، لم يزدد إلا اقتناعا بأنه أسير اللغة"[4].

---

[1] المرجع نفسه.

[2] عبدالرزاق الدواي : فلسفة موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر،ص161.

[3] زكرياء إبراهيم : مشكلات فلسفية (مشكلة البنية أو أضواء على البنية) ، ص ، 159.

[4] عبدالرزاق الدواي : فلسفة موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر،ص168.

وهنا أيضا نجد فوكو يقرر أن العلوم الإنسانية في وقتنا الراهن لم تعد توجد إلا حيث تكون هناك عملية كشف أو إزاحة للنقاب عن اللاشعور[1]، حيث يقول فوكو في هذا الصدد : " فالإنسان اللامفكر (اللاشعور) هما على المستوى الأركيولوجي متعامدان ، ولم يستطع الإنسان أن رتسم كشكل في الإبستمية دون أن يكشف الفكر في الوقت عينه ، في داخله وخارجه معا ، وفي هوامشه وفي صميم نسيجه بالذات ، جانبا مظلما وعميقا يبدوا جامدا يغرق فيه ، ولا مفكرا يحتويه الفكر بكامله ، ولكنه مع ذلك يقع في الوقت عينه في شراكه"[2].

وربما للمرة الأولى حسب ما يرى فوكو : يطرح وجود الإنسان من زاوية اهتمام الفكر بسبر أعماق اللامفكر فيه ، والإنصات إلى همساته ، وكشف الحجاب عن بعض أحواله ، لقد أصبح الفكر يدرك بأن موضوعه الرئيسي هو اللاشعور أو اللامفكر فيه، الذي يشترطه ويحدده ، ويقول هنا فوكو : " إن ما أصبح يخترق الفكر الحديث كله هو قانون في اللامفكر فيه "[3].

إلى هنا يمكننا القول بأن ميشال فوكو لم يرضى بما توفره البنيوية في عناصر مناهضة وتقويض أسس الترعة الإنسانية والتي فيها مستقبلا لتطلعاته ، فراح أو سعى إلى التحرر منها ، وراح يبحث عن سبيل آخر أكثر تجاوبا مع تطلعاته ، فاعتقد بان الاركيولوجيا والجينيالوجيا أوفت بوعدها ، وبالتالي ففوكو كما وصفه البعض قد واصل ما قد بدأته البنيوية في هدمها للترعة الإنسانية ، لكن هناك من بعض النقاد الذين اهتموا بدراسة وأبحاثه خاصة الأخيرة منها ورأوا فيه بداية مرحلة جديدة ومتميزة عن سابقتها فيها يحاول الابتعاد عن المضامين السابقة المناهضة للذات والترعة الإنسانية ، أي أن فوكو في خطابه الجديد عن السلطة والحقيقة والمعرفة والاهتمام بالذات وبالفاعل الأخلاقي ، دليل قاطع على أنه قد انضم إلى التيار المنادي بالعودة إلى الذات.

[1]زكرياء إبراهيم : مشكلات فلسفية (مشكلة البنية أو أضواء على البنية) ، ص ، 157.
[2]ميشال فوكو الكلمات والأشياء،ص270.
[3]عبدالرزاق الدواي : فلسفة موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر،ص168.

الفصل الثاني خطاب المعرفة و السلطة و الجنس

-1مفهوم الخطاب:

من الناحية التاريخية ، نجد أن فوكو قد تحدث عن الخطاب ، والممارسة الخطابية بدءا من تاريخ الجنون حيث يقر بأن : " التقليد الإنساني قد نظر إلى الجنون باعتباره جزءا من عالم الخطاب " ويتم التعرف على الجنون كخطاب ، أو كمعرفة خطابية ، وهو ما يتماثل والاشتقاق الفلسفي للخطاب ، كما أن الخطاب محال للجنون تعمل الأركيولوجيا على وصفه وتحليله"[1]، ولعل أكبر مكانة يحتلها الخطاب في الدراسات الفلسفية لفوكو عن آركيولوجيا المعرفة تظهر من خلال كتابه الكلمات والأشياء " ، حيث يحتل فيه الخطاب مكانة بارزة ، ويغطي فترة كبيرة هي العصر الكلاسيكي ، كما يشكل ثقافتها ومنطلقها ، فإذا كانت اللغة هي ميزة عصر الحداثة ، فإن الخطاب ميزة العصر الكلاسيكي ، هذه الميزة تتأكد من خلال المهمة التي اضطلع بها الخطاب في العصر الكلاسيكي ، حيث يقوم بإسناد اسم إلى الأشياء ، وبفضل هذا الاسم تسمية كينونتها[2].

من الخطاب إلى الممارسة الخطابية:

إن الممارسة الخطابية هي معيار الخطاب ، بما أنها تحيل إلى ذات فاعلة ولا إلى واقع موضوعي ، ولا إلى صيغة منطقية ولغوية ، بل هي جملة القوانين الناطقة للخطاب التي يحدد وظيفته وطبيعته التي تختلف عن النمط المنطقي أو الألسني ، وذلك لارتباطها بالتاريخ وفصل موضوعاتها عن صيغة المؤلف أو الفرع العلمي ، أي دراستها ضمن التشكيلة الخطابية[3].

إن التشكيلة الخطابية تتكون من جملة العمليات التحويلية والقواعد البنائية التي أظهرتها الدراسات حول الجنون والمرض ، والعلوم الإنسانية ، أي مختلف الممارسات الخطابية الخاصة أو المعرفية ، ذلك أن المعرفة ليست أكثر من ممارسة خطابية خاصة تتحدد في إطار مجال معين وموضوعات معينة ذات طابع علمي ، أو بتعبير آخر ليست المعرفة أكثر من نظام

[1]الزواوي بغورة:مفهوم الخطاب في فلسفة ميشال فوكو،ص93.
[2]ميشال فوكو :الكلمات والأشياء،ص115.
[3]المصدر نفسه،ص147.

الوضعيات الذي يظهر في مختلف التشكيلات الخطابية ، وبذلك فإن المعرفة ترتبط بشكل أساسي بمفهوم الخطاب الذي يتكون أساسا من مفهوم التشكيلة الخطابية والممارسة الخطابية[1].

[1]ميشال فوكو :الكلمات والأشياء،ص147.

المبحث الأول : خطاب المعرفة:

بمجرد ما ينشأ علم من العلوم ، لا يحمل على عاتقه من جديد مسؤولية إشراك ما كان يشكل الممارسة الخطابية التي ظهر في حضنها داخل تنظيماتها الخاصة ، كما لا يزيح عن طريقه المعرفة التي تحف به وتحيطه من كل جانب ليحيلها إلى ما قبل تاريخه ، أي تاريخ أخطائه وأحكامه المتسرعة وأوهامه ، لذا ليست المعرفة تلك الورشة الابستيمولوجية التي تختفي بمجرد أن يكتمل المعلم الذي يتطلب بناؤه وجودها ، والعلم يتخذ موقعه داخل حقل معرفة ، حيث يلعب دوره وهو دور يتغير حسب تغير التشكيلات وينقلب بانقلابها[1].

ويعنى بخطاب المعرفة جملة المفاهيم التي استخدمها فوكو لتحليل مختلف الممارسات الخطابية الأولى متعلقة بمضمون وحدود المفاهيم المستعملة من طرف فوكو والثانية العلاقات المختلفة فيما بين تلك المفاهيم ، وتشكيله الخطاب معرفي خاص به ، والذي يمكن أن نطلق عليه اسم " الخطاب الأركيولوجي للمعرفة "[2].

ويرى فوكو أن المعرفة في الفترة الممتدة بين القرن السادس عشر ، حتى القرن العشرين محكومة بالتشابه والنظرة الساذجة والدهشة أمام ظواهر العالم ، حيث جاء قوله في هذا الصدد " خليط من الكلمات والأشياء يسبح في وسط كوني مقدس ومتشابك العناصر ، كل عنصر فيه يسمح بالمرور إلى الكل ، كما يسمح بالمرور إلى أي عنصر آخر ، وهنا تتجلى ظاهرة المشاركة ، كما يظهرها التماثل "[3].

ولقد كانت المعرفة في عصر النهضة مقصورة على أن لا تعرف إلا ذات الشيء ، وهذا نتيجة التشابه الذي يشكل ابستيمية هذه الحقبة ، وهذا ما عبر عنه فوكو بقوله : " حتى نهاية القرن السادس عشر ، لعب التشابه دور الباني في المعرفة الثقافية الغربية ، فهو الذي قاد في

[1] مجلة العلوم الإنسانيةو الحضارية،الفكر العربي المعاصر،مركز الانماء القومي،بيروت،العدد،41،1986،ص36.
[2] الزواوي بغورة:مفهوم الخطاب في فلسفة ميشال فوكو،ص147.
[3] ميشال فوكو،الكلمات والأشياء،ص53.

جزء كبير تفسير النصوص وتأويلها ، وهو الذي نظم لعب الرموز ويسمح بمعرفة الأشياء المرئية واللامرئية وقاد فن تمثيلها وتصورها. [1]

ولعل لدراسة موضوع ط خطاب المعرفة " . تكون مكملة لهذا الموضوع ،: يتوجب علينا التوقف عند بعض المفاهيم والتي تكون مكملة لهذا الموضوع،ونجد من بينها:

أ- الأركيولوجيا:

سبق وأن تطرقنا إليها وناقشناها في الفصل السابق – الفصل الأول – باعتبارها منهج لدراسة الأرشيف ، ومهمتها الكشف عن الإبستيمية ، وعليه فهي نوع من التاريخ النقدي الذي يبحث في أشكال الفكر الحقيقة تاريخية معينة ، والآركيولوجيا تبحث في كل ما يساهم في الكشف عن هذا النمط الفكري العام ، وهي تبحث في أرشيف مرحلة تاريخية برمتها ، إنها تشتغل على كل ما يشكل الآثار المكتوبة ، أي على ما يشكل الخطاب ، وهذا يعني أن الأركيولوجيا هي " دراسة تتميز المعرفة Savoir عن نظرية المعرفة Théorie de Connaissanceفي كونها لا الأرشيف المعرفي أو الخطاب المعرفي إن صح ذلك[2]."

ب- الآركيولوجيا والمعرفة:

تهتم بما هو حقيقي أو خاطئ ، أو بما هو مقارب أو محدد ، أو بما هو متناقض أو منسجم ، وكما تتميز المعرفة عن العلم Science من حيث أنها أشمل منه ، وأنه ينبثق منها أو من أحد عناصرها ونستنتج أن المعرفة ترتبط بالممارسة الخطابية ، والتشكيلات الخطابية ، وأن المعرفة كما يقول دلوز:

"نظام عملي ومجموع آليات[3]".

ج- الأركيولوجيا والابستيمية:

[1]الزواوي بغورة:مفهوم الخطاب في فلسفة ميشال فوكو،ص162.
[2]الزواوي بغورة:مفهوم الخطاب في فلسفة ميشال فوكو،ص172.
[3]جيل دولوز:المعرفة والسلطة،ترجمة سالم يافوت،المركز الثقافي العربي،1986،ص59.

الابستيمية مفهوم احتل مكانة مركزية في أعمال فوكو ، خاصة في كتابه " الكلمات والأشياء" ، وفيه تم تفسير المراحل الثلاثة الكبرى للتاريخ الغربي ، ونعني بذلك إبستيمية التشابه في عصر النهضة ، وإبستيمية التمثيل في العصر الكلاسيكي ، وأخيرا إبستيمية الإنسان في العصر الحديث ، وأن الابستيمية مقرونة مباشرة بالمعرفة ، وبذلك فهي تشكل عجز الزاوية في المفهوم المعرفي لفوكو ، هذا المفهوم يعادل حقل المعرفة على أنه له معايير غير تلك المعايير التي ألفها التاريخ الفلسفي من نوع القيمة العقلية أو الأشكال الموضوعية[1].

ويعرف فوكو الابستيمية في كتابه الكلمات والأشياء بقوله : " أن ما نريد تبيانه هو الحقل المعرفي – الابستيمية حيث المعارف – منظور إليها خارج أي معيار يستند إلى قيمتها العقلية أو إلى صورها الموضوعية – تعزز وضعيتها (...) ففي هذا العرض ما يجب أن يظهر إنما هو في داخل مدى المعرفة. التشكلات التي دلت الصور المختلفة للمعرفة التجريبية بدلا من تاريخ ،فالمعنى التقليدي للكلمة ، فإن ما نعنيه هو (أركيولوجيا) ".[2]

هذا يعني أن الابستيمية نوع من النظام الذي يتحكم في المعارف التجريبية على ألا نفهم من التجربة المعنى المخبري ، بل المقصود المعنى العام الذي يتفق والقول بالتجربة الإنسانية ، ولذلك يمكن الفصل بين الابستيمية والتاريخ أو عن تاريخ معين يسميه فوكو " بالتاريخ الأركيولوجي "[3]

د الابستيمة والابستيمولوجية:

الابستيمولوجية تفكير يتميز بالنقد والتاريخية ، أما الأركيولوجيا فإنها تهتم بالمعارف عامة كممارسة خطابية ، وبعلوم لم تحقق بعد الشروط العلمية ، ونعني بها العلوم الإنسانية خصوصا، إن تاريخ العلوم من المنظور الابستيمولوجي إختبار لمسألة الحقيقة في العلم ، والتي يعتبرها عملية تاريخية تحدد وتطور العقلانية ذاتها . أما التاريخ الأركيولوجي فلا يعطي الأولوية لمعيار الحقيقة ولا الأولوية لتطور المعرفة ، ومن هنا تحقق الأركيولوجيا تاريخا

[1] جيل دولوز:المعرفة والسلطة،ص180.
[2] ميشال فوكو:الكلمات والأشياء،ص25.
[3] الزواوي بغورة:مفهوم الخطاب في فلسفة ميشال فوكو،181.

للمعارف تعيب فيه مسألة تقدم العقل وقدرتها وقوتها في تحليل العلوم الإنسانية كخطابات من حيث شروط وجودها ، وكيفية ظهورها[1].

ويقدم فوكو في دراسته لتاريخ الجنون نموذجا يمثل هذا العمل الأركيولوجي ، الذي لا يتحدد بتاريخ علم من العلوم كالطب ، أو علم النفس مثلا ، بل يتعدى ذلك ليناقش نصوصا فلسفية وأدبية ، وفنية ، ومعطيات تاريخية واقتصادية (...) وهذا بواسطة مفهومي المعرفة والإدراك ،حيث الأركيولوجيا تبحث في شروط وإمكانية قيام معرفة حول الجنون[2].

و – الأركيولوجيا وتاريخ العلوم :

إذا كان تاريخ العلوم في فرنسا قد اهتم في بدايته بتاريخ العلوم الدقيقة ، كما هو الحال عند " التشفيك " ، " باشلار " ، فإن " كونغلهيم " عكس المسألة ، فاهتم بالبيولوجيا والطب ، بمعنى انه أنزل تاريخ العلم نحو المناطق الأقل صورية واستنباطية ، وهكذا فهو لم يوسع فقط من دائرة تاريخ العلوم ، بل طرح مجموعة من المسائل أهمها : مفهوم الانفصال ، ومفهومها لتاريخ العلوم (...) وهي العلوم التي اهتم بها فوكو ، كذلك في علاقة مع الابستيمولوجيا ، وأخيرا أهمية المفاهيم في دراسة كونغلهيم كمفهوم الحياة أو المرض[3].

[1] المرجع نفسه،ص185.
[2] الزواوي بغورة:مفهوم الخطاب في فلسفة ميشال فوكو،ص186.
[3] المرجع نفسه،ص188.

المبحث الثاني: خطاب السلطة:

إن دراسة مفهوم السلطة يدخل في الإطار العام المتمثل في البحث عن المسار الذي تتشكل فيه الذات الغربية بوصفها موضوع معرفة ، وعاملا جوهريا من عوامل تكونها ، وأن العلاقات والاستراتيجيات والتقنيات المرتبطة بالسلطة (أو التي هي السلطة) ، والتي تدخل في تكويننا وتخترقنا جميعا تترافق دائما وتتيح إنتاج الأشكال من المعارف وأنماط من الحقيقة الضرورية لتماسكها كحقائق بديهية وطبيعية ، ولكي يتسنى لها في الوقت نفسه أن تتحول إلى حقائق غير مرئية[1].

وكلمة سلطة هذه يمكن أن يتمخض عنها سوء فهم كبير فيما يتعلق بتحديدها أو شكلها ولا تعني مجموع المؤسسات والأجهزة التي تمكن من إخضاع المواطنين داخل دولة معينة ، كما أنها لا يقصد بها نوع من أنواع الإخضاع الذي قد يتخذ في مقابل العنف (...) إن التحليل الذي يعتمد مفهوم السلطة لا ينبغي أن ينطلق من التسليم بسيادة الدولة أو صورة القانون ، أو الوحدة الشاملة لهيمنة معينة . ويبدو أن السلطة تعني بادئ ذي بدء علاقات القوى المتعددة التي تكون محايثة للمجال الذي تعمل فيه تلك القوى[2]. والسلطة ليست شيئا يحصل عليه وينتزع أو يقتسم ، شيئا تحتكره أو ندعه يفلت من أيدينا، إنها تمارس إنطلاقا من نقاط لا حصر لها ، وفي خضم علاقات متحركة لا متكافئة ، ولا تقوم علاقاتها خارج أنواع أخرى من العلاقات ، وإنما هي محايثة لها ، إنها النتائج المباشرة التي تتمخض عن التقسيمات واللاتكافؤات والاختلافات التي تتم في تلك العلاقات ، والسلطة تأتي من أسفل وهذا يعني أنليس هناك في أصل علاقات السلطة كطابع عام[3].

ويعنى بخطاب السلطة مجموع المفاهيم التي استخدمها ميشال فوكو لتحليل ظاهرة السلطة ، ومن دون شك فإن السلطة بوصفها ممارسة غير خطابية ، يدخل بطريقة أو بأخرى في مفهومها القائم على تاريخ الجسد المعذب ، والمعتقل والمنضبط ، إن هذا الجسد وفي مختلف

[1] عمر مهيبل:البنيوية في الفكر الفلسفي المعاصر،ص160.
[2] ميشال فوكو:جينالوجيا المعرفة،ترجمة أحمد السطاتي وآخرون،دار توبقال للنشر،الدار البيضاء،ص78.
[3] المصدر نفسه،ص79.

حالاته غاطس ضمن سياسي،فعلاقات السلطة تعمل فيه عملا مباشرا فهي توظفه وتطبعه وتقومه وتعذبه وتجبره على أعمال وتضطره احتفالات وتطالبه بدلالات[1].

وعن الموضوع الذي تابعه فوكو في أعماله وخاصة في المراقبة والعقاب،موضوع الذات من وجهة نظر السلطة،وأولويات الاخضاع والسيطرة والتقنين التي تفرضها مما يفترض تاليا البحث في تاريخ للذات يتمحور حول سياق الموضع الذي ينسحب على كل في حياة الفرد والذي سرعان ما يستقيم في علم ،أي في معرفة[2].

وفي كتاب "إرادة المعرفة" يؤكد على أن هدفه القيام بتحليل السلطة وليس اعطاء نظرية عنها وللوصول إلى غايته يستبعد بعض المفاهيم ويعيد صقلها كالمفهوم الماركسي والبورجوازي،ويتحرر من تصور معين للسلطة اصطلح عليه إسم"التصور القانوني الخطابي" إذ قال فيه:"إن رهان التحقيقات التي ستلي هو التقدم باتجاه يعتمد تحليلية للسلطة أكثر منه باتجاه نظرية السلطة،اعني باتجاه تحديد الميدان النوعي الذي تشكله العلاقات السلطوية ...هذه التحليلية لا يمكن أن تكون إلا إذا تصورنا من تصور معين للسلطة سأسميه تصورا قانونا خطابيا"[3].

وإذا كان فوكو لا يفصل السلطة عن علاقات القوى التي علاقات حربية،فإنه كذلك لا يفصلها على الاستراتيجيات وهو ما يتأكد من خلال قول فوكو:"يجب أن لا نتخيل عالما للخطاب،مقسما بين الخطاب المقبول والخطاب المرفوض،أو بين الخطاب المسيطر والخطاب المسيطر عليه،بل يجب أن نتصوره كمجموعة عناصر خطابية تستطيع أن تعمل في استراتيجية مختلفة"[4].

إن كتاب"مفهوم الخطاب في فلسفة ميشال فوكو"يحيلنا إلى استخلاص صفات ومميزات السلطة المتمثلة في:

[1]الزواوي بغورة:مفهوم الخطاب في فلسفة ميشال فوكو،ص231.
[2]بسام حجار:ميشال فوكو،صورة جديدة للمثقف الغربي،مجلة الفكر العربي،العدد3،1984،ص131.
[3]ميشال فوكو:إرادة المعرفة،93.
[4]المصدر نفسه،ص97.

- أن السلطة ليس لها مركز واحد وأساسي يجب البحث عنه في مؤسسة من مؤسسات أو جهاز من أجهزة الدولة كالأجهزة القمعية.
- السلطة إذا لم تكن مؤسسة ولا جهاز ، إذا لم تنحصر في نقطة مركزية ، فهذا يعني أنها منتشرة

وموزعة على الجسد الاجتماعي كله.

- إذا كانت السلطة علاقة قوى ، وحاضرة بشكل منتج فهي إذن الاسم الذي يطلق على وضع إستراتيجي معتقد في مجتمع معين[1].
- يرى ميشال فوكو أنه حيثما توجد السلطة توجد المقاومة ، ولكن طبيعة هذه المقاومة أنها ليست خارج السلطة.
- السلطة ليست وليدة طبقة أو عامل إقتصادي أو اجتماعي معين، بل هي وليدة سلطات مختلفة. السلطة ممارسة وليست ملكية ، ولا إمتياز طبقة عن طبقة ، إنها الأثر الإجمالي لمواقعها الإستراتيجية.
- ليس دور السلطة القمع فقط ، بل الإنتاج كذلك، فالسلطة الحديثة والتي لا يرى فيها البعض إلا الوجه السالب ، القمعي، إذ يرى فوكو أنها تتميز أيضا بميزة الإيجاب[2].

[1] الزواوي بغورة:مفهوم الخطاب في فلسفة ميشال فوكو،ص233-235.
[2] المرجع نفسه،ص236-237.

المبحث الثالث: خطاب الجنس

إن اهتمام فوكو بالجنس يعود إلى تاريخ الجنون ، حيث وضع المجنون الاجتماعية وخاصة مع الشاذين جنسيا، كما يكشف عن اهتمامه بالجنس ضمن مشاريعه المستقبلية في إطار أركيولوجيا المعرفة، وواضح أن الجنس كان أحد المشاريع الفكرية عند فوكو منذ الأركيولوجيا ولم يظهر فجأة في منتصف السبعينات ، وأكثر من هذا فإننا نجد الجنس حاضر في نظام الخطاب كموضوع للمنع ضمن الإجراءات الخارجية المتحكمة في الخطاب[1].

ويعتبر كتاب إرادة المعرفة تحقيق للمشروع أو الوعد ، ولكن في نفس الوقت تعديل للمنحى النظري والعملي وعلى السواء تحقيق من حيث مناقشة الجنس في علاقته بالذات وتعديل من حيث ربطه بالسلطة والمعرفة والخطاب.

ولقد أصبح الجنس مع نهاية القرن الثامن عشر (18م) ، موضوع رهان سياسي وظفته مختلف الخطابات والمعارف والسلط ، هذا ما حدث لجنس الطفل والشاب ، سواء داخل العائلة أو داخل مؤسسات التربية، أو على مستوى البحث العلمي كظهور فروع علمية تهتم بالجنس مثل أمراض الأعصاب (...) هذه المعارف لم تتكاثر خارج السلطة ولا ضدها، بل داخل السلطة رغم تكاثر وتنوع خطاباتها[2].

وفي سياق حديثه عن الجنس يميز بين فن شبقي Erotique خاص بالحضارة الشرقية ، وعلم الجنس Sexologie الخاص بالحضارة الغربية، يبدأ مع اليونان وأسطورة أوديب مثال نموذجي ، لذا يقوم فوكو بتحليله وفق الطريقة الجينيالوجية والتأويلية للذات مستخرجا منه أشكال ممارسة الذات ، ومن خلال الإعتراف والعودة إلى القانون اليوناني وأشكال فحص الضمير والتوبة والإقرار والاعتراف ، ثم في المرحلة المسيحية حيث تقوى مفعول الاعتراف وإرتبط بالخطيئة وبممارسات الرهبنة والتوبة وبنوع من الفلسفة قائم على مفهوم معين للحقيقة هي حقيقة النفس[3].

[1] الزواوي بغورة:مفهوم الخطاب في فلسفة ميشال فوكو،ص272.
[2] المرجع نفسه،ص274.
[3] المرجع نفسه،ص275.

ويرى أيضا فوكو بأن المجتمع الغربي انتقل عبر الكثير من العثرات إلى أن يحدث " حول الجنس وعنه انفجار خطابي حقيقي " وكان ذلك بمثابة تخمر خطابي تسارع ابتداء من القرن الثامن عشر ، وهو تحريض مؤسسي على الحديث عن الجنس أي " كثرة الخطابات حول الجنس ضمن مجال.الاعتراف بالخطيئة وبخطيئة الدنس في الازدياد من ثم يكون خطاب محترم ويقظ[1].

وكذلك في إطار حديثه أيضا وتطرقه لأسس وبناءات المجتمع الغربي وعلاقته مع الجنس ووضعه في الخطاب ، نجد فوكو يبين التحفظات الكلامية التي فرضها العصر الكلاسيكي . لكنه وفي إطاره النقدي يتساءل:

هل يشكل ذلك يا ترى رقابة كثيفة إنطلاقا من التحفظات الكلامية التي فرضها هذا الأخير ؟ ويقول فوكو: " ... فالأمر يتعلق بالأحرى بموضوعات تشكل جزءا من آلية هذه التحريضات بالذات ، إنها طريقة لإضفاء شكل معين على ضرورة التكلم عليه وحكاية لازمة لاقتصاد الخطاب حول الجنس المتكاثر بلا نهاية[2]".

وجاء أيضا في كتابه " إرادة المعرفة " قوله: " من الخطأ أن نرى في تكاثر الخطابات مجرد ظاهرة كمية (...) إن هذه الثرثرة التي نعتمدها في حديثنا عن الجنس منذ قرنين أو ثلاثة موجهة نحو هم أولي : تأمين إزدياد السكان إنتاج قوة العمل ، تجديد شكل العلاقات الاجتماعية "، حيث أن هنا نرى فوكو لا يعتبر الخطابات حول الجنس أمرا كميا بل له أبعاد اجتماعية ، علمية إقتصادية نافعة للمجتمع ، وباختصار أن الهدف من الخطابات هو حسب قوله":تنظيم حياة جنسية مفيدة اقتصاديا ومحافظة سياسيا "[3].

والهدف من كل هذا لا يتمثل في إظهار حقيقة الجنس ، ولا الكشف عن أثار القمع . بل البحث في مراتب الإنتاج الخطابي والسلطوي والمعرفي من الناحية التاريخية ، وعلى هذا الأساس فإن ما سجله فوكو : أن القرن السابع عشر عرف حظا وتكثيفا على الخطاب (

[1] ميشال فوكو:إرادة المعرفة،ص38.
[2] المصدر نفسه،ص53.
[3] المصدر نفسه،ص54.

خطاب الجنس). ولقد رافق هذا التحريض الخطابي اهتمام السلطة بالجنس من خلال مؤسساتها . هذا الاهتمام الذي يرجعه فوكو إلى اهتمام الكنيسة بهذا الأخير[1]".

[1]الزاوي بغورة:مفهوم الخطاب في فلسفة ميشال فوكو،ص273.

الفصل الثالث الإتيكا فن الوجود

المبحث الأول:الأخلاق بين العدمية والاهتمام بالجنس

إن الحديث عن الأخلاق عند فوكو يقودنا للقول بأن"تاريخ الجنسانية"المتمثل في كتبه أو أجزائه الثلاثة هي التي تمثل الأخلاق عند فوكو،ولكنه دائما ما أكد على الفصل بين الأخلاق وما يسميه بـ "الإيتيكا"،وهذا الفصل يميز بين الأخلاق باعتبارها منظومة القيم والأوامر والنواهي التي تنصب في مستوى الشخصية القمعية للمجتمع،وبين سلوك الأفراد الذي لا يمكن اعتباره مقدما أنه مندمج في الأخلاق أو خارجي عنها،إذ يبقى السلوك أقرب إلى أصحابه ومنفذيه من كل ما يمكن أن يضاف إليه قسرا أو طوعا من الأوامر والنواهي[1].

وهنا تجدر الإشارة إلى أن التمييز على مستوى المضمون يكفي باستعمال الكلمة العربية "أخلاق" حيث لا نقصد بها منظومة القيم والأوامر والنواهي،بل القصد من ذلك سلوك الفرد قبل أن تضاف إليه القواعد والأوامر والنواهي.

مما لا شك في أن فوكو يقر بأن الفكر في العصر الحديث غير قادر على اقتراح أخلاقيات وهذا بالرغم من أن فوكو قد اهتم أكثر بالأخلاق كسلوك فعلي للأفراد وكان هذا عبر المراحل التاريخية للأخلاق اليونانية والرومانية،لكنه من المفيد أن نذكر هنا رأيه في أخلاق العصر الحديث،وفي إطار مشروع فلسفة موت الإنسان،ومن هنا يمكننا أن نتساءل حول كيفية تكون وتشكل هذه الأخلاق في ظل هذا المشروع،وكذا عصر الحداثة الذي تنهار معه كل القيم والمبادئ والمرجعيات الثابتة.

على الرغم من أن علوم الإنسان قد ارتبطت دائما بالسياسة والأخلاق فإن الفكر الحديث أو المعاصر أصبح عاجزا عن اقتراح الأخلاق،بالنسبة لهذا الفكر لم تعد هناك أخلاق ممكنة لأنه أصبح يتقدم بالأساس باتجاه التعرف أكثر ما يمكن على ذلك الآخر الذي يسكنه ويحركه،إن توضيح وإنارة اللاشعور أو اللامفكر فيه،أي تلك القوى الخفية أو ذلك الهزيع الحالك من الليل الذي يغمرنا ونتحرك داخله هو الذي يعبر اليوم عن شكل ومضمون الأخلاق

[1] ميشال فوكو:إرادة المعرفة،ص5.

في الفكر الحديث[1]،وفي هذا المعنى يقول فوكو:"...أما الأخلاق الحديثة بالمقابل فلا تفرض أية أخلاقيات كونها تقيم كل أمر داخل الفكر،وداخل سعيه لإدراك اللامفكر،التفكير،الوعي جلاء الغموض ، إعطاء الكلام لما هو صامت ، بروز ذلك الجزء المظلم الذي يعيد جذب الإنسان ذاته إلى ساحة الضوء ، هذه الأمور جميعها هي التي تمثل وحدها مضامين شكل الأخلاقيات (...) ولم يستطع الفكر الحديث يوما أن يقترح أخلاقيات: وليس السبب في ذلك أنها بحث نظري بحت ، بل العكس هو الصحيح ، إذ أنها منذ البداية ، وفي قراراتها هي نمط سلوك معين[2].

وعليه تكون مهمة الأركيولوجي هنا التوجه إلى سلوك الأفراد الفعلي تجاه ذواتهم أولا، أو كما يقول فوكو : " الطريقة التي يجب أن نكون بما أنفسنا بأنفسنا كذات أخلاقية فاعلة ، بالاستناد إلى العناصر الفرضية التي تؤلف القانون (...) فهناك طرائق عدة للتصرف أخلاقيا ، وطرائق عدة حتى يتصرف الفرد الفاعل لا كفاعل فحسب ، وإنما كذات أخلاقية لهذا الفعل "3[3]، أي أن المسألة الجنسية هنا ينبغي أن تؤسس على القوانين الفرضية حتى يتسنى لكل من الزوجين الالتزام بالوفاء الزوجي التام المتوازن ، حيث يتحدد الجوهر الأخلاقي في هذا الوفاء بالسيطرة على الرغبات والإغراءات والاحترام الدقيق للمحضورات والواجبات ، وكذلك في طريقة الخضوع ، حيث يقيم الفرد علاقته مع هذه القاعدة ويعتبر نفسه مقيدا بواجب تنفيذها، وأن هذا الجوهر يتعلق بغائية الذات الأخلاقية لكون الفعل لا يكون أخلاقي في ذاته فحسب وإنما في الدرجة أيضا ضمن السلوك العام والموقع الذي يحتله فيه ، حيث يمكن عده كأحد عناصر ومظاهر هذا السلوك[4].

وعليه يمكن القول أن فوكو عند دراسته للأخلاق القديمة عموما ، انصب جهده على ميدان من الميادين ذات الاهتمام الأخلاقي ، ويبدوا هذا المجال في الأخلاق الجنسية لكن

[1] عبد الرزاق الداوي:فلسفة موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر،ص168.
[2] ميشال فوكو : الكلمات والأشياء ، ص 271.

[3] ميشال فوكو: استعمال الذات،ترجمة جور أبي صالح،مركز الانماء القومي،لبنان،1991،ص21.
[4] المصدر نفسه،ص21-22.

فوكو قد عدل من مشروعه هذا والمتمثل في الحياة الجنسية ، حيث انتقل إلى دراسة تقنيات الذات.

لقد كان السؤال الذي طرحه فوكو في البداية واضحا في هذا النص الذي قال فيه : " تبينت أنني لا أستطيع تجنب طرح سؤال هو جد بسيط وجد عام في وقت واحد : لماذا السلوك الجنسي ، لماذا الفعاليات واللذات الناجمة عنه ، تكون موضوع اهتمام أخلاقي ؟ لماذا هذا الانهمام الاتيكي (Souci ethique) الذي في بعض المراحل على الأقل ، وفي بعض المجتمعات ، أو بعض الجماعات ، يبدوا أنه أكثر أهمية من الانتباه الأخلاقي الذي يحمل على مجالات أخرى[1].

وفي طرحه هذا السؤال العام على الثقافة الإغريقية ، والإغريقية اللاتنية ، يقول : " فقد ظهر لي أن هذه المشكلة كانت قد ارتبطت بمجموعة من الممارسات التي كان لها بعض الأهمية العظيمة في مجتمعاتنا : وهو ما يمكن أن ندعوه) فنون الوجود) ، نفهم منها الممارسات التفكيرية والارادية التي يمكن للبشر ليس فقط أن يثبتوا عبرها قواعد السلوك فقط ، ولكنهم يسعون من خلالها إلى أن يتغيروا هم أنفسهم ، وإلى التحول في كينونتهم المتفردة ، وأن يجعلوا من حياتهم نوعا من انتاج فني يتمتع ببعض القيم الجمالية[2].

إن مساهمة فوكو الأساسية تكمن في ابراز نظام أخلاقي كان ، مثل المعابد الوثنية التي شيد المسيحيون كنائسهم فوقها ، مموها جزئيا ومشتتا جزئيا (...) يخصص الجزء الثاني من تاريخ الجنسانية ، أي استعمال اللذات ، من أجل عرض منهجي لأخلاق اليونان الجنسية ، ويعيد بناء بقية الصرح – تقنيات السيطرة على النفس – في الجزء الثالث الذي هو الاهتمام بالذات [3]، أو بتعبير فوكو : فقد تتبعت توزعا تعاقبيا بسيطا : فالمجلد الأول – استخدام اللذات تكرس للطريقة التي قد تمشكلت من خلالها الفعاليات الجنسانية من قبل الفلاسفة والأطباء ، عبر الثقافة الإغريقية الكلاسيكية في القرن الرابع قبل الميلاد ، والكتاب الثاني – الانهمام

[1]ميشال فوكو: استعمال الذات،ص11.
[2]المصدر نفسه،ص12.
[3]أبيرد رافيوس،بول رابينوف،ميشال فوكو مسيرة فلسفية،ص221.

بالذات – قد تكرس لهذه المشكلية في النصوص الإغريقية واللاتينية خلال القرنين الأولين بعد الميلاد[1].

هذا بصفة عامة ما نجده في الفكر الأخلاقي عند فوكو ، حيث سلط الضوء بدراساته ومنهجه على مختلف السلوكات اليومية للأفراد انطلاقا من الذات ، حيث تعد تلك الأجزاء من تاريخ الجنسانية هي ما يشكل ويجسد مختلف الآراء حول هذا الفكر الأخلاقي ، حيث في كتابه استعمال اللذات يتناول الأخلاق الجنسية اليونانية ، وتبدو هذه المعالجة للأخلاق اليونانية الجنسية تطرح أكثر من سؤال ، هل انتهت الأخلاق إلا إلى الأخلاق في حالتها الجنسية ؟ وهل لا يلتزم إنسان مابعد الحداثة بمسألة الأخلاق الجنسية لا غير ؟

[1]ميشال فوكو: استعمال الذات،ص13.

المبحث الثاني: بنية الأخلاق عند فوكو:

لقد أشرنا فيما سبق أن فوكو قد عدل من مشروعه ، بالانتقال من دراسة الحياة الجنسية إلى دراسة تقنيات الذات ، فهذا التعديل يتناول البعد الأخلاقي للجنس ، وكذلك المرحلة النار الالي المدروسة التي تمتد إلى الفترة اليونانية ، حيث يتساءل : كيف ولماذا ، وتحت أي شكل قد تم تشكيل الفعالية الجنسانية كحيز أخلاقي ، ولماذا هذا الانهمام الاتيكي الملح جدا ، مهما كان متنوعا في أشكاله وشدته؟[1]

لا يمكن الجواب هنا على هذا السؤال في ظل نظام المنع والتحريم ، بل فيما يسميه فوكو بنظام فنون العيش وتقنيات الذات التي تمارس بها اللذات ، والتي انتشرت في المرحلة اليونانية وفي القرنين الأولين للميلاد[2]. لهذا فالموضوعات الأساسية المشكلة لهذا الفكر الأخلاقي تنقسم إلى أربع موضوعات ، تتعلق بالجسد والزواج والغلمان والحب أو الحكمة ، أو حسب قول فوكو : " بل يجب أن ندرك بأنه قد تكون باكرا جدا في التفكير الأخلاقي للعصور القديمة مبحث – مبحث رباعي – الأول خاص بالتزهد الجنسي حول الحياة الجسدية وبصددها، والثاني حول مؤسسة الزواج ، والثالث حول العلاقة بين الرجال ، والرابع حول وجود الحكمة [3]"، هذا الأمر الذي يدفع للسؤال عن بنية ومضمون هذه المواضيع الأخلاقية الجديدة عند فوكو.

إن فوك يشير منذ بداية تحليله إلى صعوبة إيجاد مفهوم مماثل للجنسانية عند اليونانيين واللاتينيين بالرغم من أنهم يملكون كلمات متعددة للتدليل على مختلف التصرفات والأفعال الجنسية ، ولعل المفردة التي تندرج ضمنها جميع هذه التصرفات والأفعال هي مفردة " الأفروديزيات " Aphrodisia ، والتي هي نسبة إلى أفروديت إله الحب والجمال عند اليونانيين ، وتعني مختلف الأفعال والحركات والملامسات التي تسبب نوعا معينا من اللذة[4].

[1] ميشال فوكو: استعمال الذات،ص12.
[2] الزواوي بغورة:مفهوم الخطاب في فلسفة ميشال فوكو،ص282.
[3] ميشال فوكو: استعمال الذات،ص19.
[4] المصدر نفسه،ص32.

وهذا من جهتين ، جهة الكم ودرجة النشاط الذي يعبر عنها عدد الأفعال وتواترها ، وقوة الممارسة التي بها يتحد الاعتدال والتطرف ، . وجهة الدور الفاعل حيث تنقسم العلاقة الجنسية إلى فاعل هو الرجل ومنفعل هي المرأة أو الغلام[1]."

إن النشاط الجنسي بالرغم من كونه موضوع مفاضلة ، وتقدير أخلاقي إلا أن هذا لا يعني أنه در أو يحمل علامة انحطاط ، بل يعتبر طبيعي لأنه يخص استمرار النوع البشري بواسطة الشامل وإذا تم تقديره أخلاقيا فهذا يعود إلى نوع الممارسة وطريقة الاستعمال ، وإلى كونه لذة تميل إلى الإفراط ، وبه ينجو البشر بمجملهم من الموت[2].

وعلى هذا الأساس من الفهم للنشاط الجنسي في اليونان ، كان تساؤلهم وتفكيرهم يدور حول الاستعمال ، أو كيف ينال المرء لذته بشكل لائق ؟ وبالطبع فإننا لا نجد في أثينا قانونا منظما للعلاقة الجنسية ، ولكننا نجد شروطا للاستعمال ، وهو ما يسمونه بـ " إستعمال اللذات " Aphrodison Chresise، أي وقت الاستعمال والعمر ، وليس تحديد الممنوع والمسموح ، بل تعين شروط الاحتراس ومراعاة الحاجة وضرورتها والمناسبة وزمنها وظرفها ، ووضع الفرد نفسه[3].

وهذا يعني أن أخلاق الجنس جزء من نمط العيش قائم على مبدأ الاعتدال ، والنتيجة المترتبة عن ذلك ، أن في هذا النوع من الأخلاق ، لا يتكون ولا يتحدد الفرد كذات أخلاقية بتعميم قاعدة فعله ، إنما على العكس بموقف ويبحث يفردنان فعله ويعدلانه ، ويستطيعان حتى أن يضفيا عليه روعة فريدة من خلال البنية العقلانية والرزينةالمنسوبة إليه علة حد تعبير فوكو[4].

[1]الزواوي بغورة:مفهوم الخطاب في فلسفة ميشال فوكو،ص284.
[2]ميشال فوكو: استعمال الذات،ص36.
[3]الزواوي بغورة:مفهوم الخطاب في فلسفة ميشال فوكو،ص284.
[4]ميشال فوكو: استعمال الذات،ص45.

وتوجد إلى جانب هذه القيمة قيمة أخرى تتمثل في قيمة ضبط النفس ، وهي قيمة قريبة من الاعتدال ، وهذا ما نجده عند أفلاطون في كتابه " الجمهورية " ، حيث يقول : " الاعتدال هو والسيطرة على بعض اللذات والرغبات[1].

ومن هنا يمكن القول أن ضبط النفس شرط للاعتدال ، والذي يتميز بـ : أ- السيطرة على النفس تنطوي على علاقة صراعية ، تقتضي الكفاح ضد الرغبة واللذة ،وضرورة الانتصار عليهما بواسطة العقل.

ب- العلاقة القتالية مع أعداء معينين ، وخاصة مع النفس التي هي جزء من الذات.

ت- يلزم عن هذا الموقف الانتصار على النفس ، بمعنى السيطرة عليها .

ث- ن يجب أن تخضع ملكة الاشتهاء الأوامر العقل.

ج- لا يتحقق هذا الهدف دون تدريب وتمرين[2].

ويورد فوكو نصا لديوان اللايرسي حيث يقول : " لا يسعنا أن تفعل شيئا في الحياة بدون التدريب ، والتدريب يسمح للناس بالتغلب على كل شيء ...) بإهمالنا الآلام النافية التي نسبها لأنفسنا ، وبتدربنا وفقا للطبيعة ، يمكننا وينبغي علينا أن نعيش سعداء (...) إن ازدراء اللذة نفسيه يكسبون الكثير من الارتياح إذا كنا نتدرب"[3]، والحال هكذا فإن ضبط النفس هو المان الفضيلة والسلطة وهو الذي يوجه النفس ويدير المنزل ويحكم المدينة ، وكذا تحقيق الحرية والفضيلة ، ومنه فإن : " الاعتدال أو الحالة التي نترع إلى بلوغها بضبط النفس والتحفظ في ممارسة اللذات،موصوف كحرية[4].

على أن الحرية المقصودة . هي حرية المواطنين وحرية المواطن مع نفسه أيضا ، وأن يكون الفرد حرا تجاه اللذات ، وليس عبدا لها ، فالحرية سلطة يمارسها المرء على نفسه ضمن

[1] المصدر نفسه،ص46.
[2] الزواوي بغورة:مفهوم الخطاب في فلسفة ميشال فوكو،ص285.

[3] ميشال فوكو:استعمال الذات،ص51-52.
[4] المصدر نفسه،ص55.

السلطة التي يمارسها على الآخرين[1]، فلا يمكن ممارسة الاعتدال أو ضبط النفس دون معرفة فالذات الأخلاقية مشروطة بالذات العارفة ، وعلاقة الأخلاق بالمعرفة لا تؤدي حسب فوكو إلى تأويل للرغبة منا هو الأمر في المسيحية ، ولكن إلى شيء مخالف يسميه بجمالية الوجود [2]"، حيث يفهم من جماليات الوجود : " نمط عيش لا تتوقف قيمته الأخلاقية على تقيده بقانون سلوكي ولا على عمل تطهيري ، إنما على بعض الأشكال ، أو بالأحرى بعض المبادئ الشكلية العامة في استعمال اللذات ، في التوزيع الحاصل لها في الحدود المراعاة ، وفي الترتيب المحترم بواسطة العقل والعلاقة مع الحقيقة التي توجهه ، تندرج مثل هذه الحياة في الحفاظ على نظام أنطولوجي معين أو إعادة إنتاجه ، وهي تستمد من جهة أخرى روعة جمال ظاهر لأعين الذين يستطيعون التأمل فيها أو الاحتفاظ بذكراها[3].

لذا فجمالية الوجود لا تبدوا كشريعة مرسومة ولا سنة ثابتة ، وإنما هي طريقة في العيش ، وكذا استعمال اللذات وتوزيعها وترتيبها ، بما يسمح له العقل السليم ، فهذا الفن أو جمالية الوجود هذه ترتبط بالأخلاق والجمال ، وكذلك ترتبط بالحقيقة والمعرفة.

إن الفكر الأخلاقي اليوناني فكر قائم على أسلبة أو تنميط " Stylisation " السلوك أو على فن في التصرف أو على جمالية في الوجود ، حيث يقول فوكو : " لم يسع تفكير اليونان الأخلاقي حول السلوك الجنسي إلى تبرير محضورات معينة ، بل إلى أساليب تنميط حرية ، هي تلك التي يمارسها الرجل الحر في نشاطه[4]" ، حيث هذه الأسلبة أو التنميط تتجسد في ممارسات أساسية هي:

1-نظام الحمية: La deite :

إن التفكير الأخلاقي اليوناني في نظر فوكو لم يحاول أن يبرر المحضورات أو الممنوعات ، بل كان مقصده تنمية الحرية التي يمارسها الرجل باعتباره مواطنا ، ولعل من مفارقات هذا

[1] المصدر نفسه،ص56.
[2] الزواوي بغورة:مفهوم الخطاب في فلسفة ميشال فوكو،ص286.
[3] ميشال فوكو:استعمال الذات،ص61.
[4] المصدر نفسه،ص73.

التفكير أنه اقر العلاقة بين الرجل والغلام ، ولكنه ابتكر وفي نفس الوقت أخلاقا للامتناع عن هذه الممارسة ونفس الشيء يقال عن الزواج ، إذ سمح للزوج أن يسعى وراء لذاته الجنسية خارج الزواج ، ولكنه أقر في الوقت نفسه بعض أخطار هذه الممارسة[1]، لذا فالطب اليوناني قد ركز على مظاهر الصحة والمرض في الممارسة الجنسية ، وكان كما يقول فوكو : " الهم الأكبر لهذا التفكير هو تحديد استعمال اللذات ، شروطه الملائمة ، ممارسته المفيدة وتخفيفه الضروري تبعا لنوع معين من الاهتمام بالجسد[2]" ، فطبيعة الاهتمام هذه هي طبيعة حميمية أكثر مما هي علاجية ، تهدف أو تدخل ضمن النظام العام لصحة الجسد وكذلك التغذية.

ومن المؤكد أن " الحمية هي مقولة أساسية يمكننا من خلالها التفكير في السلوك الإنساني فهي تميز نمط العيشة التي نعيشها ، وتسمح بتحديد مجموعة قواعد للسلوك ، إنها شكل من أشكال طرح مسألية السلوك ، يتم تبعا لطبيعة يقتضي الحفاظ عليها والخضوع لها ، الحمية هي فن عيش بكامله [3]" ، حيث تشتمل هذه الحمية على مجموعة من القواعد منها : التدريبات (Panoi)الأغذية (Sitia) ، المشروبات (Pota) ، النوم (hupnoi) ، والعلاقات الجنسية(Aphrodisia)،كل الأشياء التي جب أن تكون معتدلة[4]، وكذلك تشتمل على معبار أساسي هو الاعتدال ، وعلى مبدأ جمالية الوجود ، حيث يكون الجسد شرط أساسي له ، وكذلك على جملة من التقنيات لا تشكل نموذجا عاما ، وإنما على الفرد أن يعتمد عليها ، من أجل أن يمارس الحمية ممارسة معتدلة وعاقلة لنفسه وجسده ، ويعتبر النشاط الجنسي جزء أساسي من هذا النظام ، سواء في توزيع الوقت أو في طبيعة الغذاء ، وأن محال الجنس في نظام الحمية ، يعتبر محالا ضيقا مقارنة بالغذاء ، وأن المجال المخصص للجنس يتعلق بالكم والظروف فقط. هكذا إذن تبدو الحمية كممارسة " هي فن حياتي " ، هي شيء مختلف تماما عن مجموعة احتياطات مخصصة لتجنب الأمراض ، أو لإتمام الشفاء منها ، إنها طريقة كاملة ليكون المرء

[1]الزواوي بغورة:مفهوم الخطاب في فلسفة ميشال فوكو،ص287.
[2]ميشال فوكو:استعمال الذات،ص73.
[3]ميشال فوكو:استعمال الذات،ص75.
[4]المصدر نفسه.

نفسه كشخص يخص جسده بالعناية الصحيحة اللازمة والكافية ، عناية تتجاوز الحياة اليومية وتجعل من نشاطات الحياة المهمة أو العادية رهانا صحيا وأخلاقيا في آن معا[1].

هناك فكرة مفادها أن الجنس أو الفعل الجنسي لا يعتبر شر في ذاته ، وإنما يشكل تهديدا لعلاقة الفرد مع نفسه ، وكذا تكونه كذات أخلاقية ، حيث إذا لم يمارس هذا الفعل بشكل معتدل وبطريقة سليمة ، فإنه سيؤدي إلى نتائج سلبية على حياة الإنسان ووجوده.

2-الزواج:

يتساءل فوكو هنا عن شكل وكيفية جعل العلاقة الزوجية موضوع تساؤل أخلاقي ، ولأي سبب جرى الاهتمام بهذه المسألة والعلاقة ، خاصة سلوك الزوج والتفكير في اعتداله الضروري وكذا جعل هذا الاعتدال موضوع اهتمام أخلاقي في مجتمع يتميز بهيمنة الرجال الأحرار.

يبدو هنا وظاهريا بأنه لا يوجد سبب ، حيث هناك نوع من الحكمة التي ظلت مشهورة : " لدينا المومسات للذة ، والخليلات للاهتمامات اليومية ، والزوجات ليكون لنا خلف شرعي ، وحارسة أمينة للأسرة "[2]. ومن هنا فالزواج كعقد خاص متعلق بالعائلة وسلطتها والقواعد التي كانت تطبقها وتعترف بأنها قواعدها ، لم يكن يستدعي تدخل السلطات العامة ، لا في اليونان ولا في روما ، في اليونان كان الزواج عادة مخصصة لتأمين دوام البيت ، بحيث كانت وثيقتاه الأساسيتان والحيويتان تدلان ، الأولى على نقص الوصاية الممارسة حتى ذلك الحين من قبل الأب إلى الزوج ، والثانية على تسليم الزوجة الفعلي إلى قرينها [3].

من الواضح هنا أن الزواج ينحصر في الإنجاب و إباحة اللذة خارجه ، هذا ما جعل التركيز الطبي و الفلسفي محصورا حول الإنجاب و العقم ، و هكذا سنقع في الفكر اليوناني منطقيا على تساؤلات تقنية و طبية حول العقم و أسبابه ، و على ملاحظات حميمية و صحية حول وسائل الحصول على أطفال أسوياء ، و على صبيان بدلا من البنات (...) و أخيرا

[1]الزواوي بغورة:مفهوم الخطاب في فلسفة ميشال فوكو،ص288.
[2]ميشال فوكو:استعمال الذات،ص105.
[3]ميشال فوكو:الانهمام بالذات،ترجمة جورج أبي صالح،مركز الانماء القومي،لبنان،1992،ص52.

مناقشات قانونية حول الشروط المفروضة لاعتبار الخلف خلفا شرعيا واستفادته من صفة المواطنة "[1].

و من المفارقات أن النشاط الجنسي للزوجة يخضع طبقا للقانون اليوناني للزوج فقط ، و عليها أن تتجب الخلف الشرعي ، و في حالة الزنا تتعرض للعقوبة ، أما الزوج فملزم فقط ببعض الواجبات ، ذلك أن زواجه لا يقيده من الناحية الجنسية ، لذا فإنه لا محل للحديث في اليونان عن الإخلاص المتبادل ، الذي ستقره بعد ذلك المسيحية[2].

حيث يفكر في حسن سلوك الزوج و يقوم و ينظم على شكل الإخلاص الجنسي (...) هو الذي سيفرض على الزوجين ، بتماثل ، واجب عدم ممارسة العلاقات الجنسية إلا في إطار الزواج وواجب اعتبار الإنجاب الهدف المفضل ." ، و بالإمكان القول هنا أن الأمر يتعلق بنمط عيش معين لكل من الزوج و الزوجة حيث " يتميز نمط العيش هذا قبل كل شيء ، بفن معين للكينونة معا ، بنبغي على الرجل أن يكون خارج بيته ليقوم بأعماله ، بينما يتعين على المرأة أن تبقى في البيت ، لكن الزوجين الصالحين سيشعران برغبة في الالتقاء و في عدم البقاء منفصلين إلا لأقل فترة ممكنة ، إن حضور الآخر ووجود الشريكين وجها لوجه و عيشهما جنبا إلى جنب هي أمور موصوفة ليس فقط ، و إنما كأمنية تميز الرابطة التي ينبغي أن تجمع بين الزوجين[3]. كما يجب أن تكون الحياة الزوجية أيضا فن تكوين وحدة جديدة منبثقة من اثنين (...) حيث يوجد هناك تشابه أيضا في التصرفات العاقلة و في مختلف المواقف الأخلاقية و حتى في الفضيلة[4].

حيث تجدر الإشارة هنا إلى أنه من ناحية المرأة وطرح مسألة الزواج،يتعلق التغيير خصوصا بتثمين الرابطة الزوجية والعلاقات الثنائية التي تكونها،ثم إن السلوك الصحيح للزوج

[1]ميشال فوكو:استعمال الذات،ص106.
[2]الزواوي بغورة:مفهوم الخطاب في فلسفة ميشال فوكو،ص289.
[3]ميشال فوكو:الانهمام بالذات،ص110.
[4]المصدر نفسه،ص111.

والاعتدال الذي يجب أن يلزم به نفسه،لا تبررهما الاعتبارات القانونية وحسب،إنما طبيعة الرابطة وشكلها العام والالتزامات المتبادلة التي تنجم عنها[1].

وهنا يمكن القول بأن فوكو كمؤرخ يسعى جاهدا لتبيين أن الأمور ليست هي تماما كما يصفها ويرسمها الكتاب والمؤرخون،لذا فهو يسعى إلى الوقوف على مختلف مشاعر الغيرة عند المرأة،وما ينتظره الناس من تحول في سلوك الرجل بعد الزواج.

3-الشبقي:Erotique

من حق اليوناني أن يكون له غلام أو فتى أي"أنه كان بوسعي رجل يوناني أن يهوى غلاما أو فتات في وقت واحد أو بالتناوب،وأنه كان بوسع رجل متزوج أن يكون له غلمانه(Paidika)وأنه كان من الشائع أن يميل الرجل إلى النساء بعد رغبات الشباب الصبيانية"[2].

ومن هنا كان حب الغلمان عادة حرة،ليس فقط بمعنى أنها كانت مباحة قانونيا (إلا في ضروف خاصة)،إنما مقبولا بها من طرف الرأي العام وأكثر من هذا كانت تلقى مساندات قوية في مختلف المؤسسات العسكرية أو التربوية[3]،لكن ما كان يتساءل عنه فوكو في هذا الشأن هو القلق المصاحب لهذه الممارسة،وهم ما نفهمه من قول فوكو:"كان استعمال اللذات في العلاقة مع الغلمان موضوعا مثيرا للقلق بالنسبة للفكر اليوناني"[4]،وهذا رغم التسامح الذي يطبع هذه العلاقة وكذا المسألة الأخلاقية التي تطرحها.

يقول فوكو:"أما في حالة العلاقة مع الغلمان،فإنه يتعين على أخلاقية اللذات أن تستخدم من خلال فروقات عمرية،وإستراتيجيات دقيقة عليها أن تأخذ في الاعتبار حرية الآخر،وقدرته على الرفض ورضاه الضروري"[5]،ما يلاحظ هنا هو أن هذه العلاقة طرحت على الفكر الفلسفي اليوناني،مسألة حقيقة الحب،فعلى عكس الزواج الذي تنحصر مهمته في الإنجاب،فإن الممارسة

[1]المصدر نفسه،ص162.
[2]ميشال فوكو:استعمال الذات،ص136.
[3]المصدر نفسه،ص137.
[4]المصدر نفسه،ص135.
[5]ميشال فوكو:استعمال الذات،ص141-142.

الجنسية مع الغلام تطرح مشكلة الحب المتبادل ، كما تطرح مشكلة أخرى هي المكانة الاجتماعية للغلام ، أوما اصطلح عليه بشرف الغلام[1]. " فهذه العلاقة أو المؤسسة قد تبدو مخالفة للطبيعة " التي يتصف بها هذا الحب ، فمن جهة يعتبر من الثوابت أن الميل الذي يشد نحو الغلمان هو طبيعي ، شأنه شأن كل ميل يجذب إلى ما هو جميل ، ومع ذلك . ليس من النادر أن نقع على ، بين التأكيد بأن العلاقة بين رجلين أو بصورة أعم ، فردين من جنس واحد هي علاقة مخالفة للطبيعة. وهناك ما يسميه فوكو بتناقض الغلام في 2 الأخلاق اليونانية ، ويتمثل هذا خاصة في " العلاقة التي عليه أن يقيمها مع نفسه ، كي يصبح رجلا حرا سيد نفسه وقادرا على التغلب على الآخرين ، لا يمكن أن تتوافق مع نوع من العلاقات يكون فيه موضوع لذة للغير[2]. "

والحل أو المسلك الوحيد في نظر فوكو لهذه المشكلة الأخلاقية هو علاقة الصداقة والحب ،حيث يقول فوكو : " لا يمكن أن يكون حب الغلمان مشرفا أخلاقيا إلا إذا اشتمل بفضل نعم العاشق المعقولة، وبفضل مسايرة المحبوب المتحفظة (على العناصر التي تشكل أسس تحول هذا الحب إلى علاقة نهائية وقيمة اجتماعيا ، هي علاقة الصداقة[3]. "

ومن الصداقة يبدأ التفكير السقراطي والأفلاطوني حول حقيقة الحب، أي من هذه النقطة أو الفكرة وهي كيفية تحول الشخص من موضوع اللذة إلى سيد اللذة ينطلق التفكير حول الحب.

4-الحب أو الحكمة:

بعد التفكير في الصحة والزواج والغلام ، وحريته ورجولته ، تأتي الموضوعة الرابعة من المسألية الأخلاقية اليونانية المتعلقة بالحب والحقيقة ، وهذا في صيغة العلاقة الموجودة بين استعمال اللذات والوصول إلى الحقيقة بفعل التساؤل حول ما يجب أن يكون عليه الحب الحقيقي ، ومن هنا يحدد فوكو مجموعة من الانتقالات منها :

[1]الزواوي بغورة:مفهوم الخطاب في فلسفة ميشال فوكو،ص290.
[2]ميشال فوكو استعمال الذات،ص154.
[3]المصدر نفسه.

أ- انتقال من مسألة السلوك العشقي إلى التساؤل حول كينونة الحب ، أو بتعبير فوكو : " وبأية شروط يمكن أن يكون الحب مشرفا للمحبوب والعاشق على السواء ؟ أو على الأقل سوف تصبح جميع هذه الأسئلة تابعة لسؤال آخر أساسي و أولي هو الحب في كينونته بالذات؟.

ب- الانتقال من التساؤل عن شرف الغلام إلى التساؤل عن الحب الحقيقي ، فكل ما يلي هذه الصياغة الأساسية هو مخصص لتحديد ما هو محبوب في الحب.

ت - الانتقال من مسألة لا تماثل الشركاء إلى مسألة تقارب الحب ، أي أن على الغلام أن يستجيب لعطف العاشق ونعمه واهتمامه ، وقدوته أكثر منه لرغبته أو لذته ، وكان لا بد من انتظار الوقت الذي يكون قد توقف فيه جموح الحب ، والذي يكون العمر قد أزال فيه المخاطر باستبعاد الحماسة حتى يرتبط الصديقان فيما بينهما بعلاقة متبادلة على الأقل سوف تصبح جميع هذه الأسئلة تاعبة لسؤال آخر وأولي وأساسي : ما كاملة (...) فإن جدلية الحب تستدعي هنا العاشقين حركتين متماثلتين تماما ، فالحب هو نفسه بما انه بالنسبة إلى كليهما ، الحركة التي تدفعهما إلى الحقيقة[1].

ت- الانتقال من فضيلة الغلام المحبوب إلى حب المعلم وحكمته ، حيث يظهر المعلم بشخصية المسيطر على نفسه ، والزاهد والمحبوب من طرف المجتمع ، والمثال في هذا من دون شك هو " سقراط معلم الحقيقة[2]، إلا أن هذه الانتقالات في نظر فوكو لا تعني الحط من قيمة وحب الغلام ، حيث " يجب ألا يغيب عن بالنا بأن هذا التزهد لم يكن طريقة للحط من حب الغلمان ، بل كان بالعكس طريقة لأسبلته ، وتاليا لتقويمه ، بإعطائه شكلا وصورة معينين[3]، ولهذا فإن بداية التحول الحقيقي سيحدث مع بداية القرن الأول والثاني المسيحيين ، وفيه يبدأ موضوع تأويل الرغبة ، وتشكل أخلاقي للذات مغايرة نسبيا لأخلاق الذات اليونانية[4].

[1]ميشال فوكو استعمال الذات،ص168-170.
[2]الزواوي بغورة:مفهوم الخطاب في فلسفة ميشال فوكو،ص290.
[3]ميشال فوكو:استعمال الذات،ص173.
[4]الزواوي بغورة:مفهوم الخطاب في فلسفة ميشال فوكو،ص291.

وعلى هذا الأساس يبدأ فوكو حديثه عن هذه الأخلاق بتحليل نص متعلق بالحياة اليومية ، حيث نعود أهمية هذا النص كونه يعالج ويطرح طريقة وجيزة صالحة للاستعمال في الحياة اليومية ، كما أنه يكتسب أهمية نظرية حول صحة الإجراءات التفسيرية ، حيث هذا النص هو نص " أرتيمدور" مفتاح الأحلام " ، وهو يتعلق بتفسير الأحلام كون هذه الأخيرة تعتبر جزءا من تقنيات العيش حيث هذا التحليل يقوم أساسا على الموازنة بين الفعل الجنسي الطبيعي والمطابق للقانون ، وما يناقضه كالزنا والزواج أو ارتكاب المحارم[1].

وفي هذا نجد أن المؤرخين المسيحيين قد اقتبسوا عناصر كثيرة من هذه الأخلاق التي تعبر عن قلق إيواء العلاقات الجنسية ، لذا تعتبر مدخلا أساسيا للأخلاق المسيحية ، وإن كان بشكل عام هذا التحول له أسبابه السياسية والاجتماعية ، إلا أن الأساسي عند فوكو ، هو أن زيادة قيمة التزهد الجنسي في التفكير الأخلاقي لا تأخذ شكل تطبيق القانون الذي يحدد الفعال الممنوعة ، بل شكل وتقنية العلاقات مع الذات التي بواسطتها يتكون المرء كفاعل لأفعاله[2].

يمكن القول هنا بان هذا التزهد ، وهذا الاهتمام المتزايد بالحياة الخاصة ليس ناتج عن تدخل الدولة أو السلطة ، بل عن ضعف الإطار السياسي والاجتماعي ، وكون المواطنين أصبحوا أقل اندماجا في الحياة المدنية ، ولهذا ظهرت العناية بالذات ، أو مبدأ اهتمام الذات بالذات ، وهو مبدأ يجد جذوره في الثقافة اليونانية ، وفي موضوع الاهتمام بالذات ، نجد أو نقع على بعض الخصائص منها:

أ- أن الموضوع تناولته المذاهب الفلسفية مثل الأفلاطونية ، الأبيقورية ... إلخ ، وهذا ما نفهمه من قول فوكو : " إن الانهمام بالذات هو أمر إيعاز نقع عليه في كثير من المذاهب الفلسفية ، نلتقيه عند الأفلاطونيين (...) أما الأبيقوريون فيرون أن الرسالة إلى " منسيه تفضي إلى المبدأ القائل بوجوب اعتبار الفلسفة كممارسة دائمة للانهمام بالذات[3].

[1] الزواوي بغورة:مفهوم الخطاب في فلسفة ميشال فوكو،ص291.
[2] المرجع نفسه،ص292.
[3] ميشال فوكو:الانهمام بالذات،ص32-33.

ب- أن الانهمام بالذات لا يعد عمل بسيط ، بل مجموعة كبيرة من المشاغل والواجبات تجاه الأسرة والأمير والمريض ، حيث أن هذه الأمور تستلزم وقت معين وكذا نشاطات وتدريبات متنوعة .

ت- يعد هذا المبدأ ، الاهتمام بالذات إشباع نشاط وكتابي كبير ، بحيث يرتبط الانشغال بالنفس بالاتصال مع الغير ، أي أنه لا يعني التوحد والانعزال بقدر ما هو عادة اجتماعية ، كما يرتبط أيضا ارتباطا وثقا بالفكر والممارسة الطبيين ، حيث أن الطب والفلسفة يهتمان بمسألة واحدة هي المرض ، يقول " إبيكنت " : " إن مدرسة الفيلسوف هي غرفة طبية ، وعندما يخرج منها يجب ألا يكون قد استمتع ، بل تألم [1]."

وفي إطار هذه العناية بالذات ، كموضوع عام الأخلاق اللذة الرومانية ، يناقش أو ربما يستحدث فوكو نفس المسائل التي تم نقاشها في المرحلة اليونانية ، وهي الجسد ، الزواج ، والعلاقة بالغلمان ، فما هي بنيتها ومضمونها في إطار التحول هذا القائم على الاهتمام بالذات ؟

أ- **الجسد:**

يؤكد العديد من المؤرخين على أهمية الشأن الطبي وحضوره القوي في عهد الإمبراطورية الرومانية ، حيث لم يكن الطب تقنية علاجية ، بل كان " عليه أن يحدد على شكل مدونة من المعارف والقواعد طريقة عيش معينة ، ونمطا من العلاقة الرزينة مع الذات والجسد ...[2]" وفيما يتعلق بالنشاط الجنسي ، فإن الفكر الطبي في المرحلة الرومانية ، أو بالتدقيق في بداية المرحلة الرومانية ، حافظ على تلك الازدواجية التي تؤكد على أهمية الطاقة الجنسية وعلى خطورة فقدها ولذا وجب أن تخضع الأفعال الجنسية لنظام احترازي صارم للغاية ، وذلك بتحديد الوقت المناسب للإنجاب ، والعمر والوقت المناسب للمجامعة ، إضافة إلى مزاج الفرد ، وإذا كان نظام اللذات يركز على الجسد فإن للنفس دورها أيضا والذي يتمثل أساسا لا في مقاومة

[1] ميشال فوكو:الانهمام بالذات،ص38-39.
[2] المصدر نفسه،ص70.

الجسد ، وإنما ان تصحح ذاتها بذاتها ، حتى تتمكن من تسيير الجسد حسب قانون هو قانون الجسد عينه[1]، وهذا بالاعتماد على بعض العناصر منها حركة الرغبة وكذلك التعلق باللذة ، وهنا يستدعي هذا الاهتمام بالمحيط والأماكن والأوقات انتباها دائما للذات ، للحالة التي يكون المرء فيها وللحركات التي يقوم بها[2]. وفي هذا الإطار العام والمتسم كثيرا بالاهتمام بالجسد والصحة والبيئة والظروف ، يطرح الطب مسألة اللذات الجنسية ، مسألة طبيعتها وآليتها ، مسألة قيمتها الايجابية والسلبية بالنسبة للجسد[3]، وما يلاحظه فوكو على النظام الطبي هو:

1-رغم تعقد النظام الطبي للذات ، ودقته وصرامته فلا يجب المبالغة في أهميته النسبية.

2- حصول نوع من مرضنة الفعل الجنسي. Pathologisation

3-الحذر الشديد تجاه النشاط الجنسي.

4-حصول نوع من التماثل بين الوصايا الغذائية ، والوصايا المسيحية حول هذا الشأن[4].

ب المرأة:

يشير فوكو إلى مظاهر الجد في الزواج ، وإلى الأدوار الجديدة التي يلعبها وإلى الأهمية التي يكتسبها حيث " يظهر أن الجدة الأولى تكمن في أن فن الحياة الزوجية ، وإن كان لا يزال يعني بالأسرة وإدارتها وبولادة الأطفال وإنجابهم ، راح يعطي قيمة متزايدة لعنصر خاص وسط هذه المجموعة ، العلاقة الشخصية بين الزوجين ، الرابطة التي يمكن أن تجمعهما ، وسلوكهما الواحد تجاه الأخر (...) حاصل الكلام أن فن التصرف في الزواج بات يتحدد بنمطية للعلاقة الفردية ، أكثر من بتقنية إدارية[5]، حيث نجد هنا أن الإنجاب الذي كان المهمة الأولى للزواج اليوناني قد ارتبط بقيم أخرى : كالحب والتفاهم ، حيث كانت أو أصحب الحياة الزوجية نمط عيش وفن كامل للكينونة والوجود.

[1]الزواوي بغورة:مفهوم الخطاب في فلسفة ميشال فوكو،ص295.
[2]ميشال فوكو:الانهمام بالذات،ص72.
[3]المصدر نفسه،ص73.
[4]الزواوي بغورة:مفهوم الخطاب في فلسفة ميشال فوكو،ص295-296.
[5]ميشال فوكو:الانهمام بالذات،ص103.

كما أن مبدأ اعتدال السلوك عند الرجل المتزوج يندرج في واجبات المبادلة أكثر منه في ضرورة السيطرة على الآخرين (...) بالأحرى ، في كون السيادة الذاتية على الذات تتجلى أكثر فأكثر في ممارسات الواجبات تجاه الآخرين وبخاصة في ممارسة شيء من الاحترام للزوجة ، حب ويوجد أيضا شيء أهم في هذا الشأن ، وهو أن " فن الزواج هذا ، في شكل الرابطة والتوازن ، يخصص مكانا أوسع نسبيا لمشكلات العلاقات الجنسية بين الزوجين (...) ، فهذه المشكلات تعالج دوما بأسلوب رزين وتلميحي نوعا ما[1] ".

ج **الغلام:**

لقد طرأ تحول كبير في نظام الزواج ، ولهذا فقد الغلام مكانته وحضوره فيلا الممارسة الجنسية مقارنة بالمرحلة اليونانية ، حيث لم يعد يشكل مادة تفكير ، إلا أن هذه الممارسة كما يقول فوكو : " لا يعني أن الممارسة زالت من الوجود ، أو أنها غدت موضع تشنيع ، وكل النصوص تثبت تزال شائعة ومعتبرة دوما كأمر طبيعي[2]، أي أن هنا قد حدث نوع من إبطال مسألية الغلام دون أن يفقد أهميته فهناك نصوص تتحدث عن هذه الممارسة مثل نص "بلوتارك" و"لوسيان"،ولكن المؤكد هو انحصار هذه الممارسة وتوسع العلاقات الزوجية،وإن احتلت مكانة في الشعر والأدب والفن،وأما في الخطاب الفلسفي فقد زالت،لذلك شهدت هذه الفترة بروز أدب شبقي يعتني أكثر بعلاقة الرجل بالمرأة،وغن كان التوجه العام لأخلاقيات اللذة أصبح يميل نحو البتولة والحب والزواج[3]،فرغم هذا التحول إلا أن حب الغلمان لن يصبح من أجل هذه الصورة مدانة،فهو لم لن يعدم أشكال التعبير عن نفسه في الشعر والفن،ولكنه سيخضع لنوع من إلغاء الاستثمار الفلسفي[4].

يمكن القول بأنه قد حدثت بعض التحولات وهي أساسية في نظام الحمية والعلاقات الزوجية والغلمان وإن مكانت هناك بعض التماثلات مع الأخلاق اللاحقة،وهي موضوع

[1] ميشال فوكو:الانهمام بالذات،ص103.
[2] المصدر نفسه،ص130.
[3] الزواوي بغورة:مفهوم الخطاب في فلسفة ميشال فوكو،ص296.
[4] ميشال فوكو:الانهمام بالذات،ص232.

اعترافات الجسد الخاصة بالمرحلة المسيحية ولم يكتمل أو يخصص له عمل مستقل لسبب وفاته.

إن مبدأ الاهتمام بالذات لا يعني أنه أنانية لكونه لكونه اهتمام يقتضي الاعتدال والاتزان،وأن ماكان يشغل اليوناني والروماني هو كيفية تكوين جمالية للحياة،أي "المقصود أن يجعل المرء من حياته مادة معرفية،أو تقنية أو أي أثر فنيا"[1].

فالفكرة التي كانت تهم فوكو هنا مفادها أن"العمل الذي علينا القيام به ليس فقط وليس بخاصة شيئا نخلفه وراءنا إنما هو بكل بساطة حياتنا ونحن أنفسنا[2]،حيث أن أنفسنا هي كأهم أثر فينا يجب الاعتناء به وكونها أهم موضع تطبق فيه قيمنا الجمالية وكذلك الحياة الشخصية للفرد وكينونته.

هذه الفكرة وهي فكرة "فن الوجود"مركزة على حياة الفرد ذاته،وإعطائها صبغة جمالية أو بعدا جماليا هذا البعد الذي لا ينفصم على الاهتمام بالذات كهم أخلاقي وجمالي في نفس الوقت،كذلك علينا أن ننظر لحياة الإنسان كأسلوب وفن وطريقة جمالية ذات بعد وجودي[3]،فالاهتمام بالذات باعتبارها جمالية ينفتح على إمكانية الخلق والتغيير،من خلال مختلف الممارسات التي تقوم بها الذات ، وكذلك التقنيات التي تجعل من هذه الذات مشروع تكوين وإبداع لا ينفذ قابل للنشاط والتوجيه[4].

كما يمكن اعتبار الانهماك في تكوين هذه الذات تمتعا بفن الوجود ، حيث أن الإبداع ، ليس مقصورا فقط على الفن ، لكن هو كإمكانية يمكن أن تقع في متناول كل فرد ، حيث يتقن معرفة كيفية الحياة ، وهي أي معرفة الكيفية التي يصنع بها الفرد حياته ، وعلى هذا فالفن كما يؤكد فوكو " لم تعد له في مجتمعنا علاقة بالأشياء ، وليس بالأفراد او بالحياة ، وما يدهشني

[1]أبيرد رايفوس،بول رابينوف،ميشال فوكو مسيرة فلسفية،ص213.
[2]أبيرد رايفوس،بول رابينوف،ميشال فوكو مسيرة فلسفية،ص206.
[3]الزواوي بغورة:مفهوم الخطاب في فلسفة ميشال فوكو،ص307.
[4]ميشال فوكو :إرادة المعرفة،ص12.

كذلك هو أن يكون الفن ميدانا متخصصا ، ميدان الخبراء الذين هم الفنانون ، لكن ألا يمكن أن تكون حياة كل فرد تحفة فنية [1]؟

وعلى هذا الأساس يمكن القول بان هذه الأخلاق كاهتمام يومي وطريقة للعيش ، وكفن للوجود لا يمكن فصلها عن الجمال ، حيث هذا الأخير يتجلى في معرفة الشكل الجميل الذي يجب أن تكون عليه الذات، والكيفية التي يمكن للذات أن تصبح بما تحفة فنية ، مع العلم أن هذه الأخلاق بإمكانها أن ترسم بعض القواعد التي تحدد طرائق أخرى للعلاقة مع الذات ، بمعنى أن هذه الذات هي محور كل الممارسات المختلفة ، حيث منها تتشكل الأخلاق كسلوك يومي ، ونمط عيش يخص الأفراد.

[1] أبيرد رايفوس،بول رابينوف،ميشال فوكو مسيرة فلسفية،ص208.

خاتـــــمة

خــاتمة:

من خلال معالجتنا لإشكالية البحث والمتمثلة أساسا في طبيعة المعرفة والأخلاق ، انطلاقا من علاقتها بالذات وبالتحليل الأركيولوجي ، والتأكيد في عصر الحداثة . فقد تبلورت بعض النتائج تذكر أهمها:

1-إن المنهج الأركيولوجي الجينيالوجي الذي اعتمده فوكو بمعناه المعروف يهدف ويرمي إلى دراسة واكتشاف محتويات الأرشيف ، أي أرشيف كل عصر ، وهذا لأجل الكشف وإزالة الستار على المجال الابستيمولوجي الكامن خلف كل تجاربه ومعارفه .

2-تبدو الغاية من هذا المنهج عند فوكو في أنه القادر على كشف مختلف التقنيات والممارسات السلوكية التي تخص الذات الإنسانية ، وكذا الكشف عن حقيقة الأخلاق الممثلة في السلوك الجنسي .

3-إن المنهج الأركيولوجي طبقه فوكو خاصة في تاريخ الجنسانية في كتبه الثلاث ، حيث قام بدراسة وعرض الأخلاق اليونانية أولا ثم إعادة تمثيل وصياغة هذه الأخلاق في سياق الانهمام بالذات .

4-إن الفكر الحديث عاجز عن اقتراح أو تأسيس أخلاقيات ، لكون أن هذا الفكر وفي إطار اختفاء الإنسان كمحور أولي في العلوم الإنسانية أصبح يسيطر ويستحوذ عليهاللاشعور أو اللامفكر فيه ، وكذا بروز كينونة اللغة ، حيث أصبحت هذه الأمور هي التي تشكل مضامين أخلاق عصر الحداثة

5-أن الأخلاق عند فوكو ممارسات تخص الذات ، وهي تحوي مواضيع أساسية متعلقة بالصحة وبالعلاقة مع المرأة ومع الغلام ، وكذا الحقيقة ، ولهذا تطلب الأمر دراستهاكممارسات تخص الذات.

6-لقد ميز فوكو في دراسته بين الأخلاق والسلوك ، حيث اهتمامه انصب على دراسة الأخلاق كسلوك في حد ذاته ، أو الأخلاق التاريخية التي تخص مجتمع معين ، وهي أخلاق يونانية ورومانية ، المتميزة بطابعها الرجولي ، والتي تهدف إلى معرفة الذات وتشكلها كذات أخلاقية.

7-إن الأخلاق التي عالجها فوكو لها مرجعية فكرية ، حيث الاعتماد على الذات الغربية ومن هنا يمكن القول بأنها ليست أخلاق شاملة ، باعتبارها تخص مجتمع معين ، وهو المجتمع الغربي المتميز بثقافته وعاداته ، وأنماط عيشه الخاصة به.

وأخيرا من خلال بحثنا نصل إلى أن علاقة الأخلاق بالمعرفة لا تؤدي حسب فوكو إلى تأويل للرغبة كما هو الأمر في المسيحية ولكن إلى شيء مخالف يسميه بجمالية الوجود حيث يفهم من جماليات الوجود نمط عيش لا تتوقف قيمته الأخلاقية على تقييده بقانون سلوكي ولا على عمل تطهيري انما على بعض الأشكال أو بالأحرى بعض المبادئ الشكلية العامة في استعمال الذات.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

-1المصادر:

- 1ميشال فوكو : استعمال اللذات ، ترجمة جورج أبي صالح ، مراجعة مطاع صفدي ، مركز
الانماء القومي ، رأس بيروت ، لبنان ، د ط ، 1991.

-2ميشال فوكو : الانهمام بالذات : ترجمة جورج أبي صالح ، مراجعة مطاع صفدي ، مركز الانماء القومي ، رأس بيروت ، لبنان ، د ط ، 1992.

: 3-إرادة المعرفة ، ترجمة جورج أبي صالح ومراجعة وتقديم مطاع صفدي ،
مركز الانماء القومي ، رأس بيروت ، لبنان ، د ط ، 1990. -4 : الكلمات والأشياء ، ترجمة مطاع صفدي وآخرون ، مركز الإنماء القومي ،
بيروت ، لبنان ، د ط ، 1989 ، 1990.

: 5-حفريات المعرفة ، ترجمة سالم يفوت ، المركز الثقافي العربي ، لبنان ، المغرب
2، 1987م

: 6-جينيالوجيا المعرفة ، ترجمة أحمد السطاني وآخرون ، دار توبقال للنشر ،
الدار البيضاء ، المغرب ، د ط ، دت

ب المراجع:

-1أو بيرد رافيوس ، بول رابينوف : ميشال فوكو مسيرة فلسفية ، ترجمة جورج أبي صالح ن مراجعة مطاع صفدي ، مركز الانماء القومي ، رأس بيروت ، لبنان ، د ط ، دت.

-2عبد الرزاق الدواي : فلسفة الموت في الفكر الأخلاقي المعاصر ، هيدغر ، ليفي ستروس ميشال فوكو ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1992.

-3-الزواوي بغورة : مفهوم الخطاب في فلسفة ميشال فوكو ، المجلس الأعلى للثقافة ، د ط
،

2000.

-4-عمر مهيبل : البنيوية في الفكر الفلسفي المعاصر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون

الجزائر ، ط 2 ، 1993.

-5السيد ولد أباه : التاريخ والحقيقة لدى ميشال فوكو ، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1994.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

شكر وعرفان

إهداء

مقدمة

الفصل الأول: الأركيولوجيا وفلسفة موت.....07

المبحث الأول: مفهوم المنهج الأركيولوجي.....07

المبحث الثاني: فلسفة موت الإنسان.....17

الفصل الثاني: خطاب المعرفة و السلطة و الجنس.....24

المبحث الأول: خطاب المعرفة.....27

المبحث الثاني: خطاب السلطة.....31

المبحث الثالث : خطاب الجنس.....34

الفصل الثالث: الإتيكـا فن الوجود.....37

المبحث الأول: الأخلاق عند فوكو بين العدمية و الاهتمام بالجنس.....38

المبحث الثاني : بنية الأخلاق عند فوكو.....42

خاتمة.....58

قائمة المصادر والمراجع.....61

الفهرس.....64

الملخص.....66

الملخص

الملخص:

وأخيرا من خلال بحثنا نصل إلى أن علاقة الأخلاق بالمعرفة لا تؤدي حسب فوكو إلى تأويل للرغبة كما هو الأمر في المسيحية ولكن إلى شيء مخالف يسميه بجمالية الوجود حيث يفهم من جماليات الوجود نمط عيش لا تتوقف قيمته الأخلاقية على تقييده بقانون سلوكي ولا على عمل تطهيري انما على بعض الأشكال أو بالأحرى بعض المبادئ الشكلية العامة في استعمال الذات.

كما اهتم ميشال فوكو بعلاقة السلطة بالمعرفة والأخلاق،حيث يعتبر أن المعرفة والسلطة مرتبطتان حيث يمكن استخدام المعرفة كوسيلة للسلطة ،وشدد على أهمية الحرية الفردية والمسؤولية الشخصية.

Summary:

Finally, through our research, we come to the conclusion that the relationship of ethics and knowledge does not lead, according to Foucault, to an interpretation of desire, as is the case in Christianity, but to something opposite that he calls the aesthetics of existence, where the aesthetics of existence is understood as a way of life whose moral value does not depend on restricting it to a behavioral code or on an act of purification, but rather on Some forms, or rather some general formal principles in the use of the subject.

Michel Foucault was also interested in the relationship of power with knowledge and morality, as he considered that knowledge and power are linked, as knowledge can be used as a means of power, and he

stressed the importance of individual freedom and personal responsibility.

تم بحمد الله وفضله